ماجد ملحم

كيف يقوون رغم الغياب؟

الطبعة الأولى

2026

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

رواية

كيف يبقون رغم الغياب؟

رواية

ماجد ملحم

الطبعة الأولى
2026م

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

ملحم، ماجد

كيف يبقون رغم الغياب؟، رواية

ط 1 - 2026م

نسخة إليكترونية

الناشر: مكتبة الكتاب العربي

Molhem, Majed.

How Do They Remain Despite the Absence :

A Novel.

1st Edition – 2026.

Electronic Edition.

Publisher : ArabBook.Com

حقوق النشر

جميع الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تُعبّر فقط عن آراء المؤلف
ولا تُعبّر بالضرورة عن آراء ArabBook.Com.

ArabBook.Com. © 2026 جميع حقوق النشر والتصميم محفوظة.
لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في أي نظام لاسترجاع المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، سواء بالتصوير أو التسجيل أو بأي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أخرى، دون إذنٍ خطي مسبق من الناشر،
باستثناء الاقتباسات القصيرة في المراجعات النقدية أو الأبحاث الأكاديمية.

وسائل التواصل مع الناشر:
البريد الإلكتروني:
info@arabbook.com

الموقع الإلكتروني:
https://www.arabbook.com

طُبع ونُشر بواسطة ArabBook.Com، 2026م.

1447هـ - 2026م

Copyright Notice

All opinions and ideas expressed in this book are solely those of the author and do not necessarily reflect the views or positions of ArabBook.Com.

© 2026 ArabBook.Com. All rights to publication and design are reserved.
No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews or scholarly works.

Contact Information:
Email: info@arabbook.com
Website: https://www.arabbook.com

Printed and published by ArabBook.Com, 2026.

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

1447هـ - 2026م

إهداء

إلى أمي أمل...

التي كانت، وستبقى أجمل ما في الحكاية.

إلى المرأة التي حملت الوجع بصمت،

والبيت بثبات، والحب دون شروط.

إلى أمي

التي لم تكن بطلة قصة واحدة،

بل كانت القصة كلها.

هذا الكتاب

ليس إلا محاولة متأخرة لأقول:

شكرًا...

وأحبك

كما لم أقل يومًا بما يكفي.

كيف يبقون رغم الغياب

الى والدي

في خمسينات القرن الماضي،

حين كانت الحياة تُقاس بمواسم القمح والزيتون،

وحين كان الفجر يُعلن بداية يومٍ جديد لا يشبه الأمس إلا بالتعب،

وُلد والدي في قريةٍ صغيرة من ريف طرطوس تُدعى **التفاحة**.

قرية لا تكثر فيها الكلمات،

لكن الأرض فيها تتكلم،

والرجال يُعرفون بما يزرعون لا بما يقولون.

وُلد لأسرةٍ فلاحة،

تحمل في كفيها خشونة التراب،

وفي قلوبها إيمانًا صامتًا بأن الأرض لا تخذل من يصبر عليها.

كان **الولد الأول**،

لا لأبيه وأمه فقط،

بل **الحفيد الأول** للعائلة كلها،

كأن القدر اختاره منذ اللحظة الأولى ليكون شاهد البداية،

وحامل الاسم،

ووريث التوقعات الثقيلة التي لا تُقال.

لكن الحياة،

وكعادتها مع الأقوياء،

لم تمنحه وقتًا طويلًا ليكون طفلًا.

في عامه الثالث فقط،

قبل أن يتعلّم نطق الحزن،

وقبل أن يفهم معنى الغياب،

توفي والده.

رحل العمود الذي تستند إليه العائلة،

وبقي طفلٌ صغير

ينظر إلى وجوه الكبار

ولا يعرف لماذا تغيّر كل شيء فجأة.

كان أخوه الوحيد **طلال**

ما يزال في عامه الأول،

رضيعًا لا يعرف أن أخاه الأكبر

سيكبر قبل أوانه،

وسيحمل عنه ثقل الحياة مرتين:

مرة لأنه الأخ الأكبر،

ومرة لأنه ابنُ رجلٍ رحل باكرًا.

منذ تلك اللحظة،

لم يعد والدي مجرد طفل.

صار الاسم أكبر من عمره،

وصارت خطواته الصغيرة

تسير في طريقٍ لم يختره،

لكنّه قبله بصمتٍ يشبه صمت الأرض

حين تُدفن فيها البذور

وتنتظر.

في بيتٍ فقد الأب،

وفي قريةٍ لا ترحم الضعف،

بدأت حكاية رجل

صاغته الخسارة قبل التجربة،

وعلّمته الحياة

أن القوة لا تُولد من الرفاه،

بل من الحاجة،

وأن من يفقد السند مبكرًا

يتعلّم كيف يكون سندًا لغيره.

هذه ليست قصة رجلٍ عادي،

بل قصة طفلٍ

أُجبر أن يقف في الصف الأول من الحياة

وهو ما يزال لا يصل إلى الحافة.

بعد رحيل الأب،

لم يكن أمام الطفلين سوى أن يُحملا إلى بيت الجد.

بيتٌ كبير في الجدران،

ضيق في الصدر.

هناك، تحت سقفٍ واحد،

عاش الطفل مع أخيه وأمه،

بين أعمامٍ كانوا في مقتبل العمر،

كلٌّ منهم مشغول ببداياته،

ولا أحد يملك وقتًا لفهم وجعٍ

أكبر من عمره.

كان البيت يعجّ بالأصوات،

لكن الوحدة كانت الأعلى.

ضحكات الشباب،

صوت الأقدام،

أحاديث المساء...

ووسط ذلك كله

كان يتم الأب

يجلس بصمتٍ لا يلاحظه أحد.

إلا الجد.

رفعت،

الرجل الذي أدرك باكرًا

أن هذا الطفل خسر أكثر مما يحتمل.

كان يخصّه بحنيةٍ لا تُعلن،

نظرة أطول من اللازم،

يدٌ تُربت دون سبب،

كأنّه يحاول أن يعوّض

ما لا يمكن تعويضه.

لكن الحنان، مهما كان صادقًا،

لا يسدّ فجوة الأب.

أما الأم،

فكانت تخوض معركة يومية صامتة.

امرأة شابة،

تحمل لقب **أرملة**

في بيئةٍ قروية

كانت الكلمة فيها

حكمًا لا وصفًا.

لم يكن الحزن وحده عبئها،

بل نظرات الناس،

الهمس،

التوقعات القاسية،

والفكرة السائدة

أن المرأة التي فقدت رجلها

فقدت معه حقّها في الضعف.

عملت بجدّ،

بصمتٍ أقسى من التعب.

كانت تعود منهكة،

لا لتستريح،

بل لتكمل دورها كأمّ وأبٍ معًا.

كانت تعرف

أن طفلها الأكبر يراقب كل شيء،

يتعلم القسوة قبل الكلمات،

ويفهم العالم

من خلال تعبها.

ذلك الطفل،

الذي كان من المفترض أن يلعب،

كان يتعلّم مبكرًا

كيف يخفض صوته،

كيف لا يطلب،

وكيف يختفي

كي لا يكون عبئًا إضافيًا

على امرأة أنهكها الفقد.

في بيت الجد،

كبر قبل أوانه.

لم يسأله أحد

كيف يشعر،

ولا متى نام آخر مرة بلا خوف.

كان يكفي الجميع

أنه "بخير..."

والبخير في تلك القرية

كان يعني فقط

أنه ما يزال واقفًا.

هكذا بدأت طفولته:

ليس بالدموع،

بل بالصبر.

ليس بالصراخ،

بل بالاعتياد على الألم

حتى صار جزءًا من المشهد.

الصراع الذي لا يُرى

لم يكن يعرف لماذا يشعر بثقلٍ دائم في صدره.

كان صغيرًا على تسمية الأشياء،

لكنه كبير بما يكفي ليحسّ

أن شيئًا ما ناقص...

شيئًا لن يعود.

كان يرى الأطفال الآخرين يركضون نحو آبائهم،

يرفعهم أحدهم على كتفيه،

أو يناديهم بصوتٍ حازمٍ ومحبّ في آنٍ واحد.

كان يقف بعيدًا،

لا لأنّه لا يريد الاقتراب،

بل لأن ذاكرته

لم تكن تحمل صورةً كاملة

ليتعلّق بها.

كان يعرف أن له أبًا،

لكنّه لم يعرفه.

وهذه كانت الخسارة الأصعب:

أن تفقد شخصًا

قبل أن يتشكّل في داخلك.

في داخله،

كان هناك سؤالٌ لا يجرؤ على نطقه:

هل رحل لأنّه لم يكن يريد البقاء؟

لم يكن عقل طفلٍ قادرًا على فهم الموت،

فحوّل الغياب إلى ذنب،

وحمل جزءًا منه في قلبه

دون أن يعرف لماذا.

كان يشعر بمسؤوليةٍ مبكرة

نحو أخيه طلال.

ينظر إليه وهو نائم،

صغيرًا، هشًّا،

ويشعر بخوفٍ غامض

من أن يُخذل مرة أخرى.

لم يقل له أحد

إنه المسؤول،

لكن الحياة تصرّفت

كأنها فعلت.

تعلم كيف يراقب لا كيف يشارك.

كيف يصمت حين يجب أن يتكلم.

كيف يبتلع الأسئلة

قبل أن تتحول إلى دموع.

كان يعرف

أن أمه متعبة بما يكفي،

وأن أي ضعفٍ إضافي

قد يكسرها.

أراد أحيانًا أن يصرخ،

لكن صوته لم يكن يجد طريقه إلى الخارج.

في بيت الجد،

كان عليه أن يكون "محترمًا"،

وفي القرية

كان عليه أن يكون "قويًا"،

وفي داخله

كان مجرد طفل

يريد أن يُحتضن دون سبب.

كبر وهو يشعر

أنه دائمًا متأخر خطوة عن الآخرين،

ليس في الطول أو القوة،

بل في الطمأنينة.

كان يخاف من الفقد

حتى قبل أن يفقد.

يحب بحذر.

ويثق بصعوبة.

وكأن قلبه تعلّم مبكرًا

أن كل شيء قابل للزوال.

ذلك الصراع لم يكن واضحًا لأحد.

لم يظهر في سلوكٍ سيّئ،

ولا في تمرّد.

ظهر فقط

في صبرٍ أكبر من اللازم،

وفي تحمّلٍ لا يناسب عمره،

وفي نظرةٍ ثابتة

تحاول أن تخفي هشاشةً عميقة.

وهكذا،

لم يكن يتم الأب

حدثًا عابرًا في طفولته،

بل صوتًا خافتًا

رافقه في كل خطوة،

يذكّره أن الحياة

لا تُعطي ضمانات،

وأن من يريد البقاء

عليه أن يكون جاهزًا

للاحتمال.

مرأة أكبر من عمرها

كان الجد يحبّ العلم،

يراه خلاصًا من الأرض التي تُتعب ولا تعطي دائمًا.

لذلك تعلّم أعمامه جميعًا،

ودخلوا معهد المعلّمين،

واستعدّوا لحياةٍ مختلفة،

أخفّ وطأة من حياة الفلاحة،

وأقرب إلى الاستقرار.

لكن في ظلّ هذا الطموح،

كانت هناك امرأة

لا تملك رفاهية الحلم.

أمّه.

لم تكن مجرّد زوجةٍ رحل زوجها،

كانت **أمًّا للجميع**.

أعمامه،

على اختلاف أعمارهم وطباعهم،

كانوا يرون فيها أمًّا ثانية.

امرأة تجمع البيت حين يتصدّع،

وتُبقيه قائمًا

دون أن تطلب شيئًا في المقابل.

كانت تعمل بلا توقّف.

لا لأن العمل خيار،

بل لأن التوقّف لم يكن مسموحًا.

كانت تتحرّك وكأن الزمن يطاردها،

وكأن لحظة واحدة من الراحة

قد تُسقط كل ما تبنيه بصمت.

توفي زوجها

وهي في الثالثة والعشرين من عمرها.

عمرٌ بالكاد تبدأ فيه النساء بمعرفة أنفسهن،

فإذا بها تُدفن فجأة

في دورٍ أكبر من قدرتها،

وأثقل من قلبها.

أرملة.

وأم لطفلين.

وفي قرية

لا ترحم المرأة التي تقف وحدها.

كان الطفل يراها،

لا كما يراها الآخرون،

بل كما يراها من يعيش تفاصيل تعبها.

يرى انحناءة ظهرها في المساء،

وتعب يديها،

وصمتها الطويل

حين ينام الجميع.

كان يشعر بالذنب

لأنه يحتاجها.

وبالخوف

لأنه لا يملك سواها.

كان يعرف، دون أن يُقال له،

أن عليه أن يكون قويًا

لأجلها،

لا لأجل نفسه.

لم يكن يحبّها فقط،

كان يخاف عليها.

خوفًا دائمًا،

صامتًا،

يشبه الخوف من فقدٍ ثانٍ

قد لا ينجو منه.

كبر وهو يرى

أن التضحية لا تُعلن،

وأن الأمهات الحقيقيات

لا يشتكين.

تعلّم منها

أن العمل ليس شرفًا فقط،

بل وسيلة للبقاء.

وأن المرأة

قد تُهزم داخليًا

وتبقى واقفة خارجيًا

لأن السقوط ليس خيارًا.

في ذلك البيت،

بين رجالٍ يتعلّمون ليصنعوا مستقبلهم،

كانت هي

تصنع الحاضر بكل ما فيه،

وتدفع ثمنه من عمرها.

أما هو،

فكان يتشكّل ببطء،

بين علمٍ لم يبدأ بعد،

وتعبٍ بدأ مبكرًا،

يحمل في داخله

صورة امرأة

لم تسمح لنفسها أن تكون ضعيفة

لكي يسمح هو لنفسه أن يبقى.

الطريق إلى الغياب

لم تكن المدرسة قريبة.

كانت بعيدة إلى حدٍّ يجعل الفكرة نفسها مرهقة.

خمسة عشر كيلومترًا تفصل القرية عن الصفّ الأول،

طريقٌ ترابي،

طويل،

ولا وسيلة نقل تختصره.

الذهاب والعودة في يومٍ واحد

كان أقرب إلى المستحيل

منه إلى الاجتهاد.

ومع ذلك،

لم يكن التعليم خيارًا قابلًا للنقاش.

إصرار الأم والجد

كان قاطعًا،

صارمًا،

كأنه قرار مصير لا رجعة فيه.

العلم، بالنسبة لهما،

لم يكن رفاهية،

بل نجاة.

لم يُسأل الطفل

إن كان مستعدًا.

لم يُعطَ وقتًا

ليتعلّم كيف يبتعد.

قرّرت الحياة عنه،

كما فعلت دائمًا.

ذهبت أمه،

واستأجرت له غرفة

في مدينة **الدريكيش**.

غرفة صغيرة،

جدرانها غريبة،

وسقفها لا يعرف اسمه.

هناك،

انفصل للمرة الأولى

عن القرية،

عن التراب الذي يعرف خطواته،

عن صوت الصباح الذي اعتاده.

كانت المدينة بالنسبة إليه

بعيدة كما القمر.

ليست فقط في المسافة،

بل في الإحساس.

وجوه لا يعرفها،

أصوات لا تشبه أصوات قريته،

ليل أطول،

وصمت أثقل.

هناك،

شعر بالغربة لأول مرة.

غربة لا تشبه الحزن،

ولا تشبه الخوف،

بل مزيجًا مربكًا منهما.

كان ينام

وهو يحاول أن يتذكّر

رائحة البيت،

ملمس الأرض،

وصوت أمه حين تناديه باسمه.

في سنوات عمره الأولى،

تعلّم أن البعد

قد يأتي مبكرًا جدًا،

وأن الانفصال

ليس دائمًا نتيجة اختيار.

كان يعود إلى قريته

بين حينٍ وآخر،

لكن شيئًا ما

كان قد تغيّر.

كأن المسافة

زرعت داخله شقًّا صغيرًا

لا يُرى

لكنه يتّسع مع الوقت.

كانت تلك

أول مراحل غربته.

غربة عن المكان،

قبل الغربة عن الناس،

وقبل الغربة عن الذات.

لم يكن يعرف

أن هذه الخطوة الصغيرة

خارج حدود القرية

ستكون بداية طريقٍ طويل،

وأن القدر

شاء له أن يغادر قريته

لا مرة واحدة،

بل مرات،

ولوقتٍ أطول

مما كان طفلٌ مثله

قادرًا على الفهم.

ومن تلك الغرفة المستأجرة،

بدأ يتعلّم درسًا مبكرًا آخر:

أن من يختَر له العلم طريقًا،

عليه أن يدفع ثمنه

وحدةً،

وغربة،

وحنينًا

لا يهدأ.

حين أنقذته الكلمات

في تلك الغرفة البعيدة،

حيث لا شيء يشبه قريته،

وجد ما لم يكن يبحث عنه.

الكتب.

لم تكن القراءة واجبًا مدرسيًا بالنسبة له،

كانت ملجأ.

كان يفتح الكتاب

كما لو أنه يفتح نافذة،

يدخل منها هواءٌ لا يعرفه

لكنّه يحتاجه.

هناك،

لم يكن يتيمًا،

ولا غريبًا،

ولا طفلًا بعيدًا عن أمه.

كان مجرد عقلٍ يسأل،

وعينٍ تلاحق السطور بشغفٍ صامت.

أحبّ القراءة

بطريقةٍ لافتة،

مهمّة،

تشبه التعلّق أكثر مما تشبه الهواية.

كان يقرأ

لينسى،

ليتذكّر،

ليملأ فراغًا

لم يكن يعرف كيف يشرحه.

وتلك الهواية،

التي بدأت كتعويض،

رافقتْه

حتى آخر أيام حياته.

في الصف،

لم يكن يجلس صامتًا.

كان يسأل.

يجادل.

يطلب تفسيرًا آخر،

ونقطة نظرٍ مختلفة.

لم يكن متمرّدًا،

بل فضوليًا أكثر من اللازم

في زمنٍ لم يكن يحبّ الأسئلة الكثيرة.

معلموه

لاحظوه سريعًا.

أحبّوه

لأن فيه شيئًا نادرًا:

طفلًا متعبًا

لكن عقله يقظ.

كانوا يرون فيه

أكثر مما يظهر،

ويشعرون

أن هذا الاجتهاد

ليس ترفًا،

بل محاولة نجاة.

كان يجد في المدرسة

ما لم يجده في الحياة:

نظامًا،

وضوحًا،

وقانونًا لا يتغيّر فجأة.

كل سؤال له جواب،

وكل جهد له نتيجة.

عالمٌ عادل

على الأقل بين دفّتي كتاب.

شيئًا فشيئًا،

بدأ يبني نفسه بالكلمات.

كل صفحة يقرؤها

كانت حجارة جديدة

في جدارٍ داخلي

يحميه من الانكسار.

لم يعد الطفل الذي بكى بصمت،

بل الطفل الذي يفكّر بصمت.

وهكذا،

وسط الغربة،

وحدة الغرفة،

وبعد القرية،

اكتشف أول ما يخصّه وحده حقًا:

عقله.

ومنذ ذلك الحين،

لم تعد القراءة هواية فقط،

بل صديقًا،

وطريقًا،

ووطنًا بديلًا

يحمله معه

حيثما اضطرّ أن يرحل.

حين صار السؤال موقفًا

كانت تلك السنوات

زمن الأحزاب.

زمن الشعارات الكبيرة،

والخطابات الحادّة،

والحلم العربي الذي كان يملأ الشوارع

كما تملأ الغبار طرق القرى.

في سوريا،

وفي المنطقة العربية كلّها،

كان الفكر القومي في أوج حضوره.

الحديث عن الوحدة،

عن التحرّر،

عن العدالة،

لم يكن نقاشًا نخبويًا،

بل لغة يومية يتداولها الناس

في المدارس،

وفي المقاهي،

وفي البيوت.

هو لم يدخل هذا العالم بدافع الحماسة،

ولا بحثًا عن الانتماء.

دخله كما دخل القراءة:

بالسؤال.

كان يستمع كثيرًا،

ويصدّق قليلًا.

يقرأ المنشورات،

يستمع للخطب،

ثم يعود إلى كتبه

ليفتّش عمّا لم يُقال.

لم يكن يرفض الأفكار،

لكنه كان يرفض أن تُقدَّم له جاهزة،

مغلقة،

لا تقبل النقاش.

كان وعيه السياسي

امتدادًا لغربته الأولى.

من اعتاد أن يقف خارج الدائرة،

يرى ما لا يراه من هم في وسطها.

كان يعرف معنى الظلم

قبل أن يقرأ عنه،

ويفهم معنى السلطة

من خلال غيابها عن حياة الفقراء،

لا من خلال تعريفاتها النظرية.

لم يكن صاخبًا،

ولا خطابيًا.

كان يفضّل النقاش الطويل،

والجدال الهادئ،

الذي ينتهي أحيانًا بلا نتيجة

لكن لا ينتهي بلا أثر.

كان يزعج البعض بأسئلته،

لأنها لا تبحث عن انتصار،

بل عن حقيقة.

الفكر القومي جذبه،

لكن لم يعمه.

رأى فيه حلمًا نبيلًا،

وفي الوقت نفسه

خاف من تحوّله إلى قالبٍ جديد

يبتلع الأفراد

كما تبتلعهم الأحزاب حين تكبر.

تعلّم مبكرًا

أن السياسة ليست هتافًا،

بل موقفًا أخلاقيًا.

وأن الانتماء الحقيقي

لا يُقاس بعدد الشعارات التي تردّدها،

بل بقدرتك على أن تبقى إنسانًا

حين يُطلب منك أن تكون تابعًا فقط.

ذلك الوعي

لم يجعله ثوريًا بالمعنى التقليدي،

ولا منسحبًا.

جعله يقف في منطقة أصعب:

منطقة التفكير المستقل.

وهذه،

في تلك الأزمنة،

كانت مغامرة بحدّ ذاتها.

وهكذا،

كما شكّلته الخسارة طفلًا،

والغربة تلميذًا،

شكّلته السياسة

رجلًا لا يقبل الإجابات السهلة،

ولا يثق بالأفكار

التي تطلب منك

أن تتوقف عن التفكير

لكي تنتمي.

حين صار الفلاح حلمًا

في تلك السنوات،

كان اسم **جمال عبد الناصر**

يملأ الدنيا

ويشغل الناس.

لم يكن مجرد رئيس،

كان فكرة تمشي على قدمين،

وصوتًا عاليًا في زمنٍ تعوّد فيه الفقراء على الهمس.

تأثر به الجميع.

في القرى كما في المدن،

في الصفوف المدرسية كما في البيوت.

كان حضوره طاغيًا،

لا عبر السلطة فقط،

بل عبر الحلم.

الفكرة كانت بسيطة... ومزلزلة:

فلاح، ابن أرض، يصبح زعيم أمة.

بالنسبة له،

لم تكن هذه مجرد حكاية سياسية،

كانت مرآة.

رأى في عبد الناصر

احتمالًا جديدًا للحياة،

دليلًا على أن الانتماء إلى الأرض

لا يعني البقاء أسيرها إلى الأبد.

أن الفقر ليس قدرًا نهائيًا،

وأن الأصل المتواضع

قد يكون نقطة قوة

لا وصمة.

كان يسمع خطبه

ويحاول أن يفهم ما وراء الصوت.

لم يكن مأخوذًا بالصراخ،

بل بالمعنى.

كيف يمكن لرجل

أن يتحدث باسم الملايين

ويجعلهم يشعرون

أنهم مرئيون لأول مرة؟

في داخله،

التقت الفكرة السياسية

مع تجربته الشخصية.

هو ابن فلاحة،

ابن أرض،

ابن بيتٍ عرف الحرمان مبكرًا.

فكرة العدالة الاجتماعية

لم تكن نظرية لديه،

كانت وصفًا دقيقًا لما ينقص حياته

وحياة من حوله.

ومع ذلك،

لم يتحوّل إعجابه إلى تقديس أعمى.

كان يؤمن بالحلم،

لكنه ظلّ حذرًا من الصورة الكاملة.

تعلّم أن يفرّق

بين الرمز

والواقع،

بين الفكرة

ومن يحملها.

لكن لا يمكن إنكار الأثر.

تلك المرحلة

زرعت فيه إيمانًا عميقًا

بأن الإنسان

قد يُغيّر موقعه في التاريخ،

وأن الفلاح

ليس هامشًا بالضرورة،

بل قد يكون قلب الحكاية.

في زمنٍ

كانت فيه الأمة تحلم بصوتٍ واحد،

حمل هو الحلم بطريقته الخاصة:

هادئًا،

مفكّرًا،

ومتشكّلًا ببطء،

كما تتشكّل القناعات الحقيقية

لا بالشعارات،

بل بالتجربة.

غرفة تكبر أكثر من ساكنيها

مضت أعوام الدراسة سريعًا،

كما تمضي الأشياء حين يكون الذهن مشغولًا بما هو أكبر من الوقت.

لم ينتبه كيف تغيّرت السنوات،

ولا متى صار الغياب عادة،

ولا متى صارت الغرفة

أكثر ثباتًا من الأمكنة كلها.

تلك الغرفة

التي استأجرتها الأم في المدينة

لم تعد له وحده.

انضمّ إليها لاحقًا أخوه **طلال**،

فامتلأت...

لا بالأثاث،

بل بالأفكار.

كان المكان صغيرًا،

لكنّه يتّسع لحوارين مختلفين عن الحياة.

هو،

هادئ،

مفكّر،

يميل إلى الصمت والكتب.

وطلال،

أكثر حيوية،

أكثر اندفاعًا نحو الناس،

نحو الضحك،

نحو الحياة كما هي

دون كثير من التحليل.

كان الأصغر،

لكنّه لم يكن الأخفّ حملًا.

ففي البيت،

وبسبب دلال العائلة للكبير،

كان طلال

هو من يتحمّل عبء الأعمال الكثيرة.

يفعل أكثر،

ويُطلب منه أكثر،

وكأن الحيوية

تُحسب طاقةً جاهزة للاستهلاك.

لم يكن في الأمر ظلمٌ معلن،

بل توزيع صامت للأدوار.

الكبير يُترك لعقله،

والصغير يُستثمر جسده.

وهكذا،

كبر كلٌّ منهما

في اتجاه مختلف.

هو كان يرى ذلك،

ولا يتحدّث عنه.

كان يشعر بمزيجٍ معقّد

من الامتنان والذنب.

امتنان لأن العائلة منحته مساحة

ليكون ما هو عليه،

وذنبٌ صامت

لأن أخاه يدفع ثمن ذلك

دون أن يشتكي.

في تلك الغرفة،

تجاورت الكتب

مع ضحكة طلال العالية.

تجاورت الأسئلة الثقيلة

مع خفّة الروح.

وكان كلٌّ منهما

يكمل الآخر

دون أن يقصد.

لم تكن الأخوّة بينهما صراعًا،

بل توازنًا هشًّا.

واحد يحمل التفكير،

والآخر يحمل الحركة.

واحد يتأمّل العالم،

والآخر يقتحمه.

ومع مرور الوقت،

صارت الغرفة شاهدًا

على تشكّل شخصيتين

خرجتا من الخسارة نفسها،

لكن سلكتا طريقين مختلفين

للبقاء.

وهكذا،

لم تعد الغرفة مجرد مكان للدراسة،

بل مختبرًا صغيرًا للحياة،

تُصاغ فيه الأفكار،

وتُختبر الأدوار،

ويتعلم فيه أخوان

أن القرب لا يعني التشابه،

وأن الحب

قد يظهر أحيانًا

في الصمت أكثر

مما يظهر في الكلام.

كما كانت تراهما الأم

لم تكن تنظر إليهما بالطريقة نفسها،

لا لأن الحب مختلف،

بل لأن الخوف كان مختلفًا.

كانت ترى الكبير

كما يُرى الشيء الهشّ الذي كبر بسرعة.

ترى فيه ظلّ والده،

وترى فيه ذلك الطفل

الذي صمت أكثر مما بكى.

كانت تخاف عليه

من العالم،

ومن التفكير الزائد،

ومن الحزن الذي لا يظهر.

كانت تحاول أن تحميه

بتركه يفكّر،

بأن لا تثقل عليه بالأعمال،

وكأنها تعوّضه عن ثقلٍ آخر

لم تستطع رفعه عنه يومًا:

فقد الأب.

أما طلال،

فكانت تراه مختلفًا.

أكثر حياة،

أكثر حركة،

وأقرب إلى الناس.

كانت تراه قويًّا بما يكفي

ليتحمّل،

فتطلب منه أكثر،

وتعتمد عليه أكثر.

لم تفعل ذلك قسوةً،

بل ثقة.

كانت تعرف

أنها لا تملك رفاهية الدلال المتوازن.

الحياة لم تمنحها عدلًا

لتوزّعه بعدالة كاملة.

كانت تُقسّم الأعباء

بحسب ما تراه ممكنًا،

لا بحسب ما هو مثالي.

في داخلها،

كانت تخاف عليهما معًا.

لكن خوفها على الكبير

كان خوفًا من الانكسار،

وخوفها على الصغير

كان خوفًا من الاستنزاف.

كانت ترى فيهما مستقبلين محتملين

وتحاول أن تُبقي الاثنين واقفين.

تعمل،

وتصمت،

وتراقب من بعيد.

لا تتدخّل كثيرًا،

لكنها حاضرة دائمًا،

كالأرض

التي لا تتكلّم

لكنها تحمل الجميع.

لم تكن أمًّا مثالية،

كانت أمًّا منهكة.

تُخطئ أحيانًا،

وتصيب كثيرًا

لأن نيتها كانت واضحة:

أن لا يسقط أحد.

وكانا يشعران بها،

حتى حين لا تقول شيئًا.

كانا يعرفان

أن هذه المرأة

التي كبرت أسرع من عمرها

تحمل داخليًا

قلقًا لا يقلّ ثقلًا

عن أعبائهما معًا.

وهكذا،

كبرا

وهما يحملان صورتها

في داخلهما:

امرأة

لم تتعلم كيف تختار

بين أبنائها،

لأنها كانت تحاول فقط

أن تنقذهم

من الحياة.

...1967حين سقط الزمن دفعة واحدة

أنهى دراسته الثانوية عام .**1967**

عامٌ لا يمرّ في الذاكرة العربية كرقم،

بل كجرح.

عام **نكسة حزيران**،

حين انهار الحلم على الهواء مباشرة،

وحين اكتشف جيلٌ كامل

أن الشعارات لا تصمد دائمًا أمام الواقع.

لم تكن الهزيمة عسكرية فقط،

كانت نفسية،

وجودية،

وأخلاقية.

ألقت بظلّها الثقيل

على كل شابٍ كان يظن

أن الطريق واضح،

وأن المستقبل

مسألة وقت لا أكثر.

هو لم يكن استثناءً.

ولا كثيرون من أبناء جيله كانوا.

الخيارات كانت قليلة،

محدودة،

ومحصورة بين الحاجة

والواجب.

لم يكن هناك ترف الحلم الفردي.

الطريق الأسهل والأسرع

للحصول على راتب،

واستقرار،

وشيء يشبه المستقبل

كان واضحًا:

الجيش.

الانضمام إلى **الكلية الحربية**

لم يكن قرارًا شخصيًا بحتًا،

بل مسارًا شبه محتوم.

حلم كل شاب

أن يخدم وطنه،

أن يكون جزءًا من إعادة النهوض،

أن يعوّض الهزيمة

بانضباط،

وبدلة،

وسلاح.

في تلك المرحلة،

كان **حزب البعث**

قد استلم فعليًا مقاليد الحكم في **سوريا**.

حزبٌ جاء بخطاب مختلف،

بعيد—نظريًا—عن الأسماء الرأسمالية

والإقطاعية

التي حكمت طويلًا.

وكان **الضباط الأحرار**

قد شكّلوا حكومتهم،

محمّلين بفكرة

أن الدولة يجب أن تُدار

بأبناء الفقراء،

وأبناء القرى،

وأبناء الهامش.

بالنسبة له،

لم تكن هذه مجرد تحولات سياسية.

كانت نافذة.

أول مرة يشعر

أن خلفيته القروية

ليست عبئًا،

بل مؤهّلًا.

أن كونه ابن فلاحة

لا يقصيه عن المركز،

بل قد يقرّبه منه.

ومع ذلك،

لم يدخل هذا الطريق

بعينين مغمضتين.

كان يحمل في داخله

أسئلة أكثر من الحماسة.

يدرك أن المؤسسة

لا تُشبه الشعارات دائمًا،

وأن السلطة—مهما تغيّر اسمها—

قد تعيد إنتاج نفسها.

لكن ماذا كان البديل؟

في وطنٍ خرج لتوّه من هزيمة،

وفي بيتٍ يحتاج الاستقرار،

وفي زمنٍ

كانت فيه الفردانية

ترفًا غير مسموح.

هكذا،

وقف عند مفترق طرق

لم يختره بالكامل،

لكنه مضى فيه

بوعي من يعرف

أن بعض القرارات

لا تُتخذ حبًا،

بل ضرورة.

وكان عام 1967

بكل ثقله،

لا يُغلق بابًا فقط،

بل يفتح مرحلة

سيكتشف لاحقًا

أنها لا تقل قسوة

عن كل ما سبقها.

حين سقط الحلم على الورق

عندما أخبر جدّه بقراره،

لم يقل الكثير.

اكتفى بهزّة رأسٍ بطيئة،

تلك التي تجمع بين الرضا

والقلق الذي لا يُقال.

وحين أخبر أمّه،

كانت فرحتها أوضح من أن تُخفى.

فرحة صادقة،

تشبه انتصارًا صغيرًا بعد سنواتٍ طويلة من التعب.

في تلك الأيام،

كانت فكرة الجيش،

وفكرة أن يصبح الابن **ضابطًا**،

تعني الاحترام،

والنفوذ،

وشيئًا من الأمان

في بلدٍ لا يمنح الأمان بسهولة.

اتخذ قراره.

ومضى بهدوء من يعرف

أن هذه الخطوة

قد تغيّر كل شيء.

قدّم أوراقه إلى **الكلية الحربية**،

وخضع للامتحان النظري،

ثم الطبي.

كان واثقًا من نفسه،

لا غرورًا،

بل لأن تعبه الطويل

كان يقف خلفه.

ثم بدأ الانتظار.

ذلك الفراغ الثقيل

بين ما كان

وما قد يكون.

لم تمضِ أيام طويلة،

حتى جاء الرد.

جملة واحدة

كانت كافية

لإسقاط كل ما بُني:

مرفوض... لأسباب سياسية.

لم يفهم في البداية.

هو الذي لم ينتمِ،

ولم يهتف،

ولم يخاصم أحدًا.

لكن الحقيقة،

كما عرفها لاحقًا،

كانت أبسط... وأقسى.

بعثيٌّ من القرية

كتب فيه تقريرًا.

اتهمه بأنه ضد الحزب،

وضد توجهاته.

لم يكن التقرير موقفًا سياسيًا،

كان **حقدًا**.

غيرةً حمقاء

من فكرة أن ابن القرية الفقير

قد يصبح ضابطًا.

هكذا،

بكلماتٍ كاذبة،

أُغلق بابٌ كامل.

شعر بخذلانٍ كبير.

وحزنٍ واسع

لا يعرف أين يضعه.

للمرة الأولى،

لم يكن قادرًا على التفكير،

ولا على التبرير.

كان مكسورًا

ببساطة.

رأته أمّه.

رأت ذلك الانكسار

الذي أخفاه طويلًا عن الجميع.

لم تقل الكثير.

اقتربت،

نظرت إليه كما كانت تفعل

حين كان طفلًا

ولا يفهم لماذا يؤلم العالم.

وقالت بهدوء

لا يشبه الوعود،

بل يشبه القرار:

« لا تحزن... أنا معك،

وسوف أحقق لك ذلك ».

في تلك اللحظة،

لم تكن أمًّا فقط.

كانت آخر جدار

بينه وبين السقوط.

وكان يعرف،

دون أن يُقال له،

أن هذه المرأة

لم تقل كلماتٍ للتخفيف،

بل أعلنت

أن المعركة

لم تنتهِ بعد.

لطريق إلى العاصمة

لم تتردّد طويلًا.

حين قالت «سأحقق لك ذلك » ،

لم تكن جملة عاطفية،

كانت خطة.

حملت تلك الأم القروية أشياءها القليلة،

كما حملت عمرها كله من قبل،

وخرجت.

لأول مرة،

تغادر حدود ما تعرفه.

لأول مرة،

تتجه نحو **دمشق**،

تلك العاصمة التي كانوا يسمعون عنها

عبر الراديو.

ذلك الراديو

الذي كان الجد أول من جلبه إلى القرية.

شيء خشبي،

يتكلم.

يحكي قصصًا عن مدن لا تُرى،

وزعماء لا يُقابلون،

وحروبٍ وأحلام

تصل إلى القرية

كصوتٍ بلا صورة.

كان الناس يتجمهرون حوله

كما لو أنه معجزة،

وكأنه نافذة صغيرة

على عالمٍ أكبر منهم جميعًا.

سلكت الطريق الطويل

من الدريكيش إلى العاصمة.

باصٌ مزدحم،

وجوه غريبة،

طريق لا ينتهي.

كانت المدينة تقترب

كلما شعرت أنها تبتعد أكثر

عن نفسها.

في رأسها

كلمة واحدة تتكرر.

اسمٌ سمعته من أهل القرية

كأنّه أمل أخير:

حافظ الأسد.

قالوا لها:

ابن بيئة مشابهة.

ابن قرية من **اللاذقية**.

وأمه تسكن معه.

وربما...

امرأة تفهم امرأة.

وصلت دمشق.

مدينة واسعة،

مربكة،

مليئة بالناس والسيارات

والأصوات التي لا تهدأ.

لم تكن تعرف العناوين،

ولا الطرق،

ولا اللغة المناسبة للمدينة.

كانت تسأل الجميع.

تسأل بثقة من لا يملك خيارًا آخر.

حتى وصلت.

وقف الحرس في الخارج.

وجوه جامدة،

وبنادق صامتة.

منعوها من الدخول.

امرأة ريفية،

ثيابها بسيطة،

وصوتها يحمل لهجة بعيدة.

لكنها لم ترجع.

في تلك اللحظة،

كانت والدة حافظ الأسد

على البرندة.

رأت امرأةً

لا تشبه الزائرات المعتادات.

شيئًا في وقفتها

لم يكن طلبًا عاديًا.

بعثت وراء الحراس،

سألتهم عنها.

قالوا:

امرأة من ريف طرطوس

تريد خدمة منك.

قالت بهدوء

يشبه الأمهات حين يفهمن كل شيء

دون شرح:

« دعُوها تدخل ».

دخلت.

وحكت قصتها.

لم ترفع صوتها،

لم تتوسّل.

قالت ما حدث

كما يُقال الوجع

عندما يتعب صاحبه من البكاء.

ابنها،

الرفض،

التقرير،

والحلم الذي انكسر

بكلمة.

نظرت إليها المرأة الأخرى،

امرأة السلطة،

لكن أيضًا

امرأة الأمومة.

وقالت لها:

«لا تحزني.

سننتظر حافظ ليعود إلى البيت،

وسأقول له.

انتظري».

في تلك اللحظة،

لم تكن الأم القروية

في بيت وزير دفاع،

كانت في بيت أمٍّ أخرى.

وكان الانتظار،

للمرة الأولى،

يحمل أملًا

لا يشبه الوهم.

كلمة واحدة غيّرت الاتجاه

عاد **حافظ الأسد** إلى البيت،

وكانت له عادة لا يغيّرها شيء:

أن يدخل مباشرة إلى غرفة أمّه.

هناك،

حيث تسقط الألقاب،

وتبقى الوجوه.

دخل،

فشاهد الضيفة.

اقترب أولًا من أمّه،

قبّل يدها،

ثم التفت إلى المرأة الأخرى،

وسلّم بهدوء:

« أهلًا وسهلًا بضيوف أمّي ».

لم تتكلّم الأم القروية.

كانت الكلمات قد قالتها قبل قليل،

والآن جاء دور الصمت.

قالت أمّه،

بصوتٍ لا يحمل استعطافًا

ولا مبالغة:

« هذه السيدة أرملة،

ولها ولدان.

الكبير تقدّم إلى الكلية الحربية،

ورُفض بتقرير كاذب.

وأريد أن تمنحه استثناء ».

لم تُطِل الشرح.

لم تحتج إلى تفاصيل.

كانت تعرف أن الحقيقة،

حين تُقال بصدق،

لا تحتاج تزويقًا.

نظر حافظ الأسد إلى المرأة.

نظرة سريعة،

فاحصة،

كأنّه يقرأ الطريق كلّه

في وجهٍ واحد.

ثم قال جملة واحدة،

بلا تردّد،

ولا تعليق:

« دعيه يأتيني إلى المكتب

غدًا عند التاسعة صباحًا ».

انتهى الحديث.

كما تبدأ الأمور الكبيرة غالبًا:

ببساطة.

في تلك اللحظة،

لم تستطع الأم أن تُمسك فرحتها.

كانت فرحة لا تُشبه الضحك،

ولا البكاء،

بل ذلك الامتلاء المفاجئ

الذي يخفّف سنواتٍ دفعة واحدة.

فرحة امرأة

مشَت طريقًا طويلًا

ولم تُغلق الأبواب في وجهها.

خرجت من البيت

وقلبها يسبقها.

لم تكن تعرف

ماذا سيحدث غدًا،

لكنها كانت تعرف شيئًا واحدًا:

أن كلمتها وصلت،

وأن ابنها

لم يعد وحده في مواجهة الظلم.

وكانت تلك الليلة،

بالنسبة لها،

أقصر من كل الليالي،

وأثقلها انتظارًا،

وأقربها إلى الأمل

منذ زمنٍ طويل.

الرسالة التي سبقت الفجر

غادرت البيت

وقلبها لا يزال هناك.

لم ترجع إلى الباص،

ولا إلى الطريق الطويل.

ذهبت إلى منزل قريبٍ لها في دمشق،

بيتٌ عادي،

لكنّه في تلك الليلة

صار محطة أمل.

جلست قليلًا،

ثم قالت ما يشبه الأمر،

لا الطلب:

أريد أن نبعث **تلغرافًا**.

في تلك الأيام،

كان التلغراف

أسرع ما تملكه القرى

للوصول إلى الغائبين.

وسيلة رسمية،

جافة،

لكنها قادرة

على قلب المصائر.

طلبت من قريبها

أن يبعثه إلى ناحية قريبة من القرية،

ومن هناك

يُبلِّغ ابنها.

كأنها كانت تخشى

أن يضيع الوقت،

أو أن تخون المسافة نواياها.

وفعلًا،

أُرسل التلغراف

إلى مخفر الشرطة

في القرية المجاورة.

ورقة صغيرة،

لكن وزنها كان أثقل

من كل ما حملته تلك الأم

في رحلتها.

كان مكتوبًا بوضوحٍ لا يحتمل التأويل:

« على السيد نواف ملحم

مراجعة مكتب وزير الدفاع

غدًا في تمام الساعة التاسعة صباحًا ».

لا شرح.

لا أسباب.

لا وعود.

مجرد أمر.

في تلك الليلة،

لم تنم الأم.

لم تستطع.

كانت تفكّر بالطريق الذي سيسلكه الخبر،

بالفم الذي سينطق الاسم،

وباللحظة التي سيقرأ فيها ابنها

اسمه

مقرونًا بالساعة

والمكان.

كانت تعرف

أن ابنها،

حين يسمع ذلك،

لن يصدّق فورًا.

سيتوقّف قليلًا،

يقرأ السطر مرة ثانية،

ثم ثالثة.

وسيفهم،

كما تفهم القلوب قبل العقول،

أن شيئًا ما

قد تغيّر.

أما هي،

فكانت تنتظر

لا كمن ينتظر نتيجة،

بل كمن يعرف

أن الخطوة الأصعب

قد قُطعت،

وأن البقية

لم تعد بيدها وحدها.

وكان الفجر،

في تلك الليلة،

أقرب من أي وقت مضى.

الطريق إلى الباب الثقيل

في مغيب ذلك اليوم،

وصل الشرطي إلى القرية.

لم يذهب إلى بيت الأم،

بل إلى بيت الجد.

البيوت الكبيرة

هي التي يُطرق بابها

حين يكون الأمر غير عادي.

سأل:

أين نواف؟

استغرب الجد.

تجمّدت الكلمات في فمه.

قال بقلقٍ لا يخلو من حدّة:

ماذا هناك؟

ماذا فعل؟

ضحك الشرطي،

ضحكةً قصيرة

كسرت التوتر فجأة،

وقال:

مطلوب غدًا لمقابلة وزير الدفاع.

نظر الجد إلى أولاده.

ثم التفت إلى نواف،

وتأمّله طويلًا.

لم يقل الكثير.

اكتفى بجملةٍ

بقيت معلّقة في المكان:

« يبدو أن لديك أمًّا

أقوى من الصخر».

أخذ نواف الورقة.

جلس.

وانتظر.

لم يكن انتظار فرح،

بل انتظار خوف.

طفلٌ في الثامنة عشرة

يسافر لأول مرة إلى **دمشق**،

لا ليزور قريبًا،

بل ليقابل

وزير الدفاع.

لم يكن يعرف

هل هذا باب نجاة

أم باب حساب.

خرج مع عمّه

قبل الفجر.

وصل إلى الباص

الذي يغادر في الرابعة صباحًا.

صعد،

وجلس،

وبدأت رحلة

أشبه بالجنون.

لم ينم.

لم تغمض عيناه.

كان يعدّ الأشجار

على جانبي الطريق،

ثم يعدّ الأضواء

حين اقتربوا من المدن.

كان يستمع

لشخير النيام في الباص،

كأنهم في عالمٍ آخر،

بينما قلبه

كان يرتجف بلا توقف.

وصلوا دمشق

قرابة الثامنة والنصف.

نزل.

ركب تاكسي مع عمّه.

قال له:

إلى وزارة الدفاع.

كانت دمشق آنذاك

أصغر،

أهدأ،

وأقل ازدحامًا.

الطريق بين

ساحة العباسيين

حيث يقف الباص،

و**ساحة الأمويين**

حيث تقع وزارة الدفاع،

كان شبه فارغ.

وصلوا بسرعة

كأن المدينة

تفسح الطريق للرهبة.

وقف أمام باب

وزارة الدفاع

قبل الموعد بخمس دقائق.

أعطاهم اسمه.

نظروا إليه.

قالوا له:

ادخل.

دخل.

رافقه أحد الحراس.

ممرات طويلة.

أرضيات باردة.

صمت ثقيل.

حتى وصلوا إلى مكتب وزير الدفاع.

قالوا له:

اجلس هنا،

سيأتي الوزير بعد دقائق.

جلس.

وكان الخوف والريبة

يتناوبان عليه.

نظر إلى المكتب:

ضخم،

مرتب،

قاسٍ.

رتابة السلطة

كانت تملأ المكان.

قال في نفسه:

أنا أحلم.

لا يمكن أن أكون هنا.

مرت دقائق

بدت أطول من الرحلة كلها.

ثم فجأة...

أصوات تحيات عسكرية في الخارج.

وقع أقدام منضبط.

نبرة مختلفة للهواء نفسه.

عرف، دون أن يُقال له،

أن الرجل

قد وصل.

وتلك اللحظة،

كانت أثقل

من كل ما سبقها.

الاختيار

دخل الوزير.

رتبه تسبق خطاه،

ونياشينه تلمع بثقلٍ لا يحتاج شرحًا.

المشهد بحدّ ذاته

كان مرعبًا لشاب

لم يخرج بعد من خوف الطريق.

في يده سيجارة حمراء،

ذلك التبغ السوري المعروف،

يتصاعد دخانها بهدوء

لا يشبه توتّر الجالس أمامه.

قال بصوتٍ رصين،

هادئ،

لكن فيه قوة لا تخطئها الأذن:

مرحبًا نواف... كيفك؟

تلعثم.

لم يجد الكلمات فورًا.

كان الاسم،

مجرد سماعه من هذا المكان،

أكبر من قدرته على الرد.

ثم قال له مباشرة،

دون مقدمات:

هل تريد الذهاب إلى الكلية الحربية؟

هزّ رأسه.

لم يستطع الكلام.

قال:

لدينا بعثة لدراسة القانون في باريس.

منحة مدفوعة من الحزب.

والكلية الحربية هنا.

اختر الآن بينهما.

توقّف الزمن.

باريس...

مدينة لم يرها إلا في الكتب،

وحلمٌ ناعم

يحتاج وقتًا،

وصبرًا،

وطريقًا آخر.

لكن أمامه،

كانت البدلة العسكرية،

والنياشين،

والسلطة التي رآها فجأة

قريبة،

ملموسة،

واضحة.

لم يفكّر.

لم يوازن.

قال فورًا،

وكأن الجواب كان جاهزًا منذ الطفولة:

الكلية الحربية.

ضحك الوزير.

ضحكة قصيرة

كمن فهم كل شيء.

ثم مدّ يده

وأعطاه **500ليرة**.

قال له:

خذ هذه.

خُذ أمّك إلى القرية،

واشترِ حاجاتك.

وبعد أسبوع

التحق بالكلية الحربية في حمص.

أمسك المال.

كان أكبر مبلغ

يراه في حياته كلّها.

لم يكن مالًا فقط،

كان إثباتًا

أن ما حدث لم يكن حلمًا.

خرج مسرعًا.

كأن الجدران تضيق إن بقي.

رأى عمّه.

قال له بصوتٍ لا يحتمل التأجيل:

إلى أمّي.

الآن.

وصل إلى بيت ذلك القريب في دمشق.

رآها.

لم يقل شيئًا.

حضنها.

وبكى.

بكى كالطفل.

لا خوفًا هذه المرة،

بل اشتياقًا،

وامتنانًا،

وانكسارًا يذوب.

كانت هي واقفة،

تحمله كما حملته يومًا

دون أن تسأله

إلى أين ستأخذه الحياة بعد ذلك.

وفي تلك اللحظة،

لم يكن ضابطًا بعد،

ولا طالبًا في كلية،

كان فقط

ابنًا

عاد إلى أمّه

ليقول لها بالبكاء

ما لم تستطع الكلمات قوله أبدًا.

سنوات الصياغة

بعد أسبوع واحد فقط،

كان قد التحق بـ **الكلية الحربية بحمص**.

لم تكن مؤسسة تعليمية فحسب،

كانت آلة صياغة.

تأخذ الإنسان كما هو،

وتعيد تشكيله

كما تريد.

هناك تعلّم الانضباط،

لا بوصفه قيمة أخلاقية،

بل كأسلوب حياة.

تعلّم القسوة،

ليس ليكون قاسيًا،

بل ليصمد.

وتعلّم الشموخ،

ذلك الوقوف المستقيم

حتى حين يكون الداخل متعبًا.

أما العز،

فلم يكن شعارًا،

بل شعورًا داخليًا

ينشأ حين يعرف الإنسان

أنه أصبح قادرًا على الاحتمال.

ثلاث سنوات

كانت كافية

لتدجين أي شخص.

نظام صارم،

تدريب قاسٍ،

أوامر لا تُناقش،

وزمن يُقاس بالدقائق لا بالمشاعر.

لكنها، بالنسبة له،

لم تكن قسرًا فقط،

كانت أيضًا استقرارًا

لم يعرفه من قبل.

كان هناك راتب شهري.

أول مال منتظم

يدخل حياته.

كان يقسمه دون حسابات معقّدة:

نصفه لأمّه،

والربع لجدّه،

ويكتفي بالباقي.

لم يكن يشعر أنه يتنازل،

بل أنه يعيد شيئًا من الدين

الذي في رقبته.

كان يعرف

أن أمه تحتاجه

حتى وهو بعيد.

وأن الجد

الذي آمن بالعلم

يستحق أن يرى ثمرة ذلك الإيمان.

أما هو،

فكان يكفيه

أن يشعر

للمرة الأولى

أن وجوده

صار نافعًا.

في تلك السنوات،

بدا كل شيء...

رائعًا.

واضحًا.

منظمًا.

الحياة،

بعد فوضى طويلة،

صارت لها قواعد.

والطريق،

بعد التردد،

صار مستقيمًا.

لم يكن يعرف بعد

أن هذا الشعور

لن يدوم على حاله.

لكن في تلك اللحظة،

كان واقفًا في مكانه،

ببدلته،

وبرتبة لم تكتمل بعد،

يشعر أنه أخيرًا

وصل إلى أرض

لا تهتز تحت قدميه.

وهكذا،

انتهت مرحلة النجاة،

وبدأت مرحلة أخرى:

مرحلة الرجل

الذي صاغته الخسارة،

ثم التعليم،

ثم المؤسسة.

النجمة

تخرّج برتبة **ملازم أول**.

شاب في الحادية والعشرين،

لكن في داخله

سنوات أكثر مما يسمح به العمر.

وضع النجمة على كتفيه،

لم تكن معدنًا،

كانت خلاصة طريقٍ طويل

بدأ من بيتٍ فقير

وانتهى في ساحة عرض.

في ذلك اليوم،

كانت الساحة أوسع من المعتاد،

ليس لأنها امتلأت بالناس،

بل لأنها حملت ذاكرة كاملة.

الأم،

والأخ طلال،

والجد،

والأعمام...

كلهم هناك.

وجوه تعرف التعب،

وتعرف معنى أن يصل واحدٌ منها

إلى هذا المكان.

كان يمشي

بتلك الخطوات العسكرية المنتظمة،

خطوة... خطوة...

كأن الأرض نفسها

تعدّ معه السنوات.

ظهره مستقيم،

رأسه مرفوع،

وعيناه ثابتتان

تحاولان ألّا تبحثا عن وجهٍ بعينه،

لكن قلبه كان يعرف تمامًا

أين تقف أمّه.

كانت تنظر إليه

كما لا تنظر الأمهات إلا مرة واحدة في العمر.

لا دموع،

بل امتلاء.

فرحٌ لا يُقاس،

ولا يُشترى،

ولا يُعوَّض بثمن.

ترى ابنها

وقد صار رجلًا،

وضابطًا،

وصار لوجوده وزن

لا يستطيع أحد إنكاره.

مع انتهاء العرض العسكري،

لم ينتظر.

لم يحافظ على المسافة.

لم يتذكّر الرتب.

ركض.

ركض نحو أمّه

كما كان يفعل طفلًا

حين يخاف،

وحين يفرح،

وحين يشتاق.

أمسك يديها،

وقبّل خشونتهما.

تلك الخشونة

التي صنعت كل شيء.

في تلك اللحظة،

لم يكن ضابطًا أمامها،

كان ابنها فقط.

الطفل الذي فقد أباه،

والشاب الذي كُسر ثم وقف،

والرجل الذي لم ينسَ

من أين جاء.

كان الجميع فخورين.

لكن فخر الأم

كان مختلفًا.

صامتًا،

عميقًا،

يشبه الطمأنينة

بعد خوفٍ طويل.

تلك اللحظة،

لم يكن لها مثيل

في حياته كلها.

لأنها لم تكن نهاية مرحلة فقط،

بل إعلانًا واضحًا

أنه أصبح موجودًا.

مرئيًا.

واقفًا في الصف الأول

من الحياة.

ومنذ ذلك اليوم،

لم تعد النجمة على كتفيه

رمز رتبة فقط،

بل شاهدًا على أمٍّ

مشت الطريق عنه،

وعلى فتى

لم يتراجع

حتى صار رجلًا.

الوعد الذي صار بيتًا

خلال سنوات وجود نواف في الكلية،

وفي إحدى إجازاته القصيرة،

كان جالسًا مع أعمامه وجدّه.

الحديث عادي،

والوقت يمضي ببطء قروي مألوف.

فجأة،

رفعت الأم رأسها،

نظرت إلى الجميع،

وقالت بهدوء امرأة

أنهكها العمل طويلًا

ولم تعد تخشى شيئًا:

« عندما يتخرّج،

سأذهب للإقامة معه أنا وطلال.

أريد أن أرتاح ».

لم تكن الجملة طلبًا،

كانت إعلانًا.

إعلان نهاية مرحلة

وبداية أخرى.

لم يعارضها أحد.

كانوا يعرفون

أن هذه المرأة

دفعت ما يكفي من عمرها،

وأن حقها في الراحة

قد تأخّر كثيرًا.

وعندما عادوا من حفل التخرّج،

نظر نواف إليها،

وقد صار صوته أكثر ثباتًا

من أي وقت مضى،

وقال:

« أنا بانتظار فرزي إلى أحد التشكيلات.

بعدها سأأخذ بيتًا،

ونعيش سويًا...

أنتِ وطلال و أنا ».

رأت في كلماته

ما هو أكثر من وعد.

رأت استقرارًا.

سقفًا لا يتغيّر.

وحياة لا تقوم على القلق الدائم.

كانت فخورة،

وفوق ذلك...

مطمئنّة.

جاء فرزه إلى تشكيل **حرس الحدود**

في منطقة **النبك**.

هناك،

أخذ منزلًا.

لم يكن فخمًا،

لكنه كان بيتًا.

جهّزه كما تُجهَّز البدايات الجديدة:

بقلبٍ مفتوح،

ونوايا صافية.

جاءت أمّه.

دخلت البيت

ولم تغادره.

منذ تلك اللحظة،

لم يفارقها نواف.

لا في القرب،

ولا في الرعاية،

ولا في الوفاء.

بقيت معه

حتى توفّيت

بعد خمسين عامًا

من تلك الأيام.

خمسون عامًا

لم تكن مجرّد زمن،

بل عمرًا كاملًا

عاشته امرأة

وقد اطمأنّت

أن تعبها لم يذهب سدى.

أما طلال،

الأخ الأصغر،

فكان يراقب كل شيء.

أنهى دراسته الثانوية،

ولم يتردّد.

ما إن رأى أخاه

واقفًا ببدلته،

مستقيمًا،

واضح الطريق،

حتى اتخذ قراره.

انتسب إلى **الكلية الجوية**

في **حلب**.

لم يكن تقليدًا أعمى،

بل إيمانًا

بأن الطريق الذي شقّه أخوه

يمكن أن يتّسع لاثنين.

كانت سعادة الأم

لا تُوصف.

لم تكن فرحة عابرة،

بل ذلك الشعور العميق

الذي يأتي

حين ترى المرأة

أن أبناءها

صاروا بأمان.

في تلك اللحظة،

لم تطلب من الحياة

شيئًا آخر.

كانت قد حصلت

على ما تستحقه:

بيت،

أبناء واقفون،

وقلبٌ

أخيرًا

يسمح لنفسه بالراحة.

حياة نواف في الخدمة

بدأت حياة نواف في الخدمة

كما تبدأ الحياة الحقيقية دائمًا:

بهدوءٍ يخفي ثقلًا كبيرًا.

لم تكن النجمة على كتفيه

تعني نهاية التعب،

بل انتقاله من شكلٍ

إلى شكلٍ آخر.

الفرق الوحيد

أن التعب الآن

صار منظّمًا،

مقنّنًا،

ومحمّلًا بالمسؤولية.

في **النبك**،

ضمن تشكيل **حرس الحدود**،

تعلّم معنى أن تكون الضابط الأصغر

بين رجالٍ أنهكتهم السنوات.

كان عليه أن يأمر،

وأن ينفّذ،

وأن يتحمّل نتائج القرار

حتى حين لا يكون القرار له وحده.

لم يكن صارخًا.

لم يكن مستعرضًا.

كان هادئًا

إلى حدٍّ يربك البعض.

يعطي أوامره بوضوح،

ويشرح أكثر مما يلزم،

لأنه كان يعرف

أن الجندي الذي يفهم

أثبت من الجندي الذي يخاف.

كانت أيامه تبدأ باكرًا،

وتنتهي متأخرة.

تفتيش،

دوريات،

تقارير،

ومسؤوليات

لا تظهر في الصور الرسمية.

كان يعرف

أن الحدود لا تُحرس فقط بالسلاح،

بل بالصبر،

والانتباه،

والقدرة على البقاء يقظًا

حين يتعب الجميع.

في بيته،

كانت أمّه.

وجودها

كان توازنه الخفي.

يعود من الخدمة

فيجد الطعام حاضرًا،

والسؤال البسيط:

« تعبت اليوم؟ »

سؤال لا يُنتظر له جواب،

بل اعتراف.

لم يتغيّر معها.

لم يتصرّف كضابط.

كان ابنًا فقط.

يجلس،

يستمع،

ويشعر أن العالم،

رغم كل قسوته،

ما يزال قابلًا للعيش

طالما هي هناك.

مرّت السنوات.

تنقّل بين مهام،

وتدرّج في الرتب.

لم يكن طموحه صاخبًا،

لكنه كان ثابتًا.

يعرف أن الترقية

تأتي لمن يصبر

أكثر مما تأتي لمن يطالب.

شهد تحوّلات كثيرة.

تبدّل وجوه،

وتغيّرت أوامر،

وتبدّلت الظروف السياسية والعسكرية.

لكنه بقي على حاله:

يؤمن أن الضابط

لا يُقاس بقربه من السلطة،

بل بعدالته مع من هم دونه.

كانت الخدمة

تأخذ منه الكثير،

لكنها لم تأخذ قلبه.

بقي وفيًّا

لعاداته القديمة:

القراءة،

التفكير،

والاحتفاظ بمسافة داخلية

تحميه من التصلّب الكامل.

لم يكن مثاليًا.

أخطأ أحيانًا،

وتعب كثيرًا،

وشكّ أكثر مما أظهر.

لكنّه،

في كل مرحلة،

كان يعود إلى نفسه

كما يعود الجندي إلى نقطة ثابتة

بعد دورية طويلة.

وهكذا،

لم تكن حياة نواف في الخدمة

بطولية بالمعنى الشائع،

ولا استعراضية،

بل حياة رجل

حمل مسؤوليته بصمت،

وحاول، قدر ما استطاع،

أن يبقى إنسانًا

داخل البدلة.

قبل أن يتكلم السلاح

قبيل **حرب تشرين**،

انتقل نواف من وحداته السابقة

إلى صفوف **التشكيلات المقاتلة**

على الحدود السورية–الإسرائيلية.

لم يكن الانتقال إداريًا،

بل إشارة واضحة

أن زمن الانتظار يقترب من نهايته.

نقل سكنه إلى **دمشق**،

إلى بيتٍ في منطقة **المزة**.

المدينة،

التي كانت يومًا بعيدة كما القمر،

صارت الآن مركز حياته،

وقلب الأحداث.

كان طلال

قد تخرّج ملازمًا

في **القوات الجوية**.

أخوان،

كلٌّ في سلاحه،

لكن القلق واحد،

والانتظار واحد.

الجو العام

كان مشحونًا.

الحرب لا تُعلن،

لكنها حاضرة في كل تفصيل.

في الوجوه،

في نبرة الأوامر،

وفي الصمت الطويل

الذي يسبق التعليمات.

كان ذلك ردًّا مؤجّلًا

على خسارة حزيران عام 1967.

الهزيمة لم تُنسَ،

بل خُزِّنت.

تحوّلت إلى تصميم بارد،

غير صاخب،

لكنه عميق.

التدريبات تغيّرت.

السلاح جديد.

التكتيك مختلف.

والحديث،

حين يُقال،

كان مقتضبًا

لكن معناه واضح:

المعركة قادمة.

كان في التدريبات

شيء يشبه الثقة الحذرة.

لا غرور،

ولا أوهام.

فقط إحساس

أن المؤسسة تعلّمت من جرحها،

وأن هذه المرة

لن تكون ارتجالًا.

رغم كل ذلك،

كان نواف

ينزل بشكلٍ أسبوعي إلى البيت.

ذلك البيت في المزة

الذي جمع أمّه،

وطلال،

وأقارب كُثر

اضطروا للانتقال إلى دمشق

بحثًا عن العمل.

هناك،

كان يخلع ثقل الجبهة

ولو لساعات.

يجلس مع أمّه،

يستمع،

ولا يقول الكثير.

كانت تقرأ وجهه

دون أن تسأله.

تعرف أن الصمت هذه المرة

ليس تعبًا فقط،

بل اقترابًا من المجهول.

كان يرى طلال،

ببدلته الجوية،

أصغر منه،

لكن أكثر اندفاعًا.

كان كلٌّ منهما

يعرف مكان الآخر

على خريطة الحرب المقبلة،

دون أن يتبادلا المخاوف.

وفي تلك الأيام،

لم يكن الوداع دراميًا.

كان بسيطًا،

متكررًا،

وكأن الجميع

يحاول أن يقنع نفسه

أن هذا مجرد أسبوع آخر،

وليس ما قبل التاريخ.

لكن في الداخل،

كان الإحساس واضحًا:

الهدوء

لم يعد طبيعيًا.

والسلاح

قريب من الكلام.

في قلب تشرين

حين بدأت الحرب،

لم تُفاجئه.

كان يعرف أنها قادمة،

كما يعرف الجندي رائحة المطر

قبل أن يسقط.

لكن المعرفة لا تُخفّف ثقل اللحظة

حين يتحوّل الانتظار إلى أمرٍ مباشر.

في الصفوف الأولى،

على **جبهة الجولان**،

صار الوقت أقصر من أن يُقاس.

الأرض قاسية،

والسماء منخفضة،

والأصوات

لا تُشبه أي تدريبٍ سابق.

هناك،

لا يعود للأشياء أسماءها الطويلة؛

الخوف يصبح يقظة،

والشجاعة تصبح تنفيذًا دقيقًا

دون تردّد.

كان نواف ضابطًا شابًا،

لكن الحرب لا تعترف بالعمر.

تعترف فقط

بمن يثبت

ومن يتراجع.

كان عليه أن يقود،

وأن يطمئن،

وأن يقرر

في ثوانٍ

ما كان يُفكَّر فيه سابقًا أيامًا.

في تلك الساعات الأولى،

تلاشى كل ما هو شخصي.

الأم،

والبيت،

والزيارات الأسبوعية...

كلها صارت بعيدة،

لكنها لم تغب.

كانت حاضرة كقوةٍ صامتة

تشدّ الظهر

حين يتعب.

لم يكن يرى الحرب كصورةٍ كبيرة،

كان يراها تفاصيل:

جنديٌّ يرتجف ثم يثبت،

أمرٌ يُنفّذ تحت النار،

إصابة تُسعف،

وصمتٌ مفاجئ

يأتي بعد هديرٍ طويل.

تعلّم هناك

أن الضابط لا يقف خلف رجاله،

ولا أمامهم،

بل بينهم.

أن الصوت الهادئ

في أقسى اللحظات

أقوى من الصراخ.

وأن الخوف،

حين يُدار جيدًا،

يصير أداة للبقاء.

مرت الأيام ثقيلة،

لكنها مرّت.

لم يخرج منها كما دخل.

خرج أقل اندفاعًا،

أكثر انتباهًا،

وأشدّ قناعة

أن الحرب

ليست حكاية نصر أو هزيمة فقط،

بل امتحان أخلاقي

لكل من يحمل مسؤولية غيره.

حين هدأت الجبهة نسبيًا،

لم يحتفل.

جلس،

نظر حوله،

وتأكد أن رجاله بخير.

كان هذا،

بالنسبة له،

أقرب تعريف للنصر.

عاد بعدها إلى دمشق

على فترات،

بوجهٍ تغيّر قليلًا،

وعينين

صارتا ترى أبعد.

حضن أمّه

كما كان يفعل دائمًا،

لكن الحضن هذه المرة

كان أطول،

وأثقل معنى.

لم يتكلم كثيرًا عمّا جرى.

ترك الحرب

حيث يجب أن تبقى:

في داخله.

كدرسٍ لا يُنسى،

وكذكرى

علّمته أن الإنسان

قد يكون قويًا جدًا

ومكسورًا في الوقت نفسه.

وهكذا،

لم تكن مشاركة نواف في تشرين

فصلًا منفصلًا من حياته،

بل نقطة تحوّل.

من بعدها،

صار يعرف تمامًا

قيمة الصمت،

وقيمة الحياة،

وثمن القرار

حين يُتخذ

تحت النار.

حين ظهر الوجه الآخر للحياة

كان ذلك في عام .**1975**

نواف، وقد صار **نقيبًا**،

كان يمتلك أول سيارة في حياته:

فولكسفاغن السلحفاة.

سيارة غريبة الشكل،

أسطورية السمعة،

تعمل دون حاجةٍ إلى الماء لتبريدها،

كأنها خُلقت

لتتحمّل أكثر مما يبدو عليها.

كان في إجازة

في مدينته **طرطوس**.

يمشي في شوارعها

كما لو أنه يراها للمرة الأولى.

المدينة التي غادرها طويلًا

بدت أقرب،

وألين،

وأكثر إنسانية

من كل الجهات التي عرفها.

وفي أحد تلك الشوارع،

حدث ما لم يكن في الحسبان.

رآها.

أمل.

فتاة طويلة،

نحيلة،

شقراء،

بعينين خضراوين

لا تشبهان شيئًا رآه من قبل.

كانت ترتدي اللباس المدرسي،

تمشي بخطى هادئة

لا تعرف أنها

ستغيّر مسار حياة كاملة.

قال في داخله فورًا،

دون تحليل،

ودون تردّد:

هي هي.

أوقف السيارة.

نزل منها

بشيء من التباهي البريء.

البدلة العسكرية،

السيارة،

المدينة التي تعرف اسمه.

حاول أن يكلّمها.

فصدّته فورًا.

لا تردّد،

لا خجل،

لا مجاملة.

نظرة واحدة

قالت كل شيء.

كانت تعرف حدودها،

ولا تساوم عليها.

لم يتراجع.

لم يغضب.

بل زاد إصراره.

تبعها من بعيد،

حتى وصلت إلى البيت.

هناك،

سأل عنها مباشرة،

بصوت ضابط

لكن بقلب رجل

اكتشف فجأة

أنه لا يعرف شيئًا عن هذا النوع من المعارك.

قالوا له:

إنها بنت أحد الأعيان

في منطقة قريبة من طرطوس.

كانت المعلومة

أقل ما يهمّه.

لم يفكّر في الفوارق،

ولا في الحواجز الاجتماعية،

ولا في الحسابات.

كل ما عرفه

أن الحرب،

والمؤسسة،

والسنوات القاسية،

لم تُلغِ داخله

قدرته على أن يقع في الحب

من النظرة الأولى.

في تلك اللحظة،

لم يكن نقيبًا،

ولا بطل حرب،

ولا ابن سيرة طويلة.

كان رجلًا

رأى امرأة

وأدرك

أن حياته،

رغم كل ما عاشه،

كانت تنتظر هذا اللقاء.

وكان هذا

بداية فصلٍ آخر،

أقل صخبًا من الحرب،

لكن لا يقل عنها

أثرًا وعمقًا.

القرار

كانت أمل

ابنة أحد الإقطاعيين المعروفين

في ضِياع ريف **طرطوس**.

في نهاية دراستها الثانوية،

تقف عند العتبة بين الصبا

والحياة التي ستُفرض عليها قريبًا.

كانت أختًا

لتسعة إخوة شباب

وأختين.

بيتٌ واسع،

صاخب،

تحكمه سلطة الأب

وتقاليده،

وتسنده مكانة اجتماعية

لا تُناقش.

جمالها

لم يكن عابرًا.

كانت تحمل ملامح فرنسية،

جسدًا نحيلًا متناسقًا،

وعينين خضراوين

تلفتان الانتباه

دون أن تطلباه.

جمال هادئ،

لا يستعرض نفسه،

ولا يحتاج تبريرًا.

نواف لم يتردّد.

لم يدخل في حسابات النسب،

ولا في ثقل الاسم،

ولا في الفوارق الطبقية

التي كانت ما تزال

تحكم الكثير من الزيجات.

ما إن عرف من هي،

حتى ركب سيارته

وصعد إلى القرية.

قابل أباها مباشرة.

لم يرسل وسيطًا،

ولم يختبئ خلف أسماء.

دخل ببدلته العسكرية،

بهدوءه المعتاد،

وتحدّث كما تعلّم دائمًا:

بوضوح،

ودون التفاف.

قال ما يريد،

ولم يقل أكثر.

لم يُبالغ في الوعود،

ولم يُنقِص من قدره.

كان يعرف

أن الاحترام

أقصر الطرق.

لم يُحسم الأمر فورًا.

مرت أيام،

تُقاس فيها النيات

وتُقرأ الوجوه.

ثم جاء الدور

على الخطوة التي كانت،

بالنسبة له،

الأهم.

ذهب مع أمّه

إلى بيت أمل.

لم يكن يريد زواجًا

تُفرَض فيه العروس،

ولا قرارًا

لا تشهد عليه

تلك المرأة

التي صنعت حياته.

رأتها الأم.

نظرت طويلًا.

لم تسأل كثيرًا.

كانت ترى ما هو أبعد

من الجمال.

ترى الفتاة،

والبيت،

والطريق الذي سيدخل فيه ابنها.

كانت تتمنّى،

في داخلها،

أن يتزوج من إحدى قريباته.

أمرٌ طبيعي

لامرأة قروية

تعرف القرب

وتثق بالمألوف.

لكنها،

أمام إصرار نواف،

وأمام وضوح اختياره،

لم تتوانَ.

وافقت.

لم تكن موافقة مترددة،

ولا مشروطة.

كانت موافقة أم

تعرف متى تتمسك برأيها،

ومتى تفسح الطريق

لأبنائها

كي يعيشوا حياتهم.

تمّ الزواج.

ببساطة تليق

بقرارٍ ناضج.

لم يكن استعراضًا،

ولا صفقة اجتماعية.

كان انتقالًا هادئًا

من حياة الفرد

إلى حياة الشراكة.

في ذلك الزواج،

التقى عالمان:

ابن الفلاحة

والضابط الذي شق طريقه بجهده،

وابنة البيت الكبير

التي اختارت

أن تمشي طريقًا مختلفًا

عمّا كان متوقعًا لها.

وهكذا،

دخلت أمل حياة نواف

لا كحدث عابر،

بل كشريك

في مرحلة جديدة.

مرحلة

لم تُبنَ على الحرب ولا المؤسسة،

بل على الاختيار.

وكان ذلك،

بكل بساطته،

واحدًا من أكثر قراراته

ثباتًا في حياته كلها.

لبيت الذي لم يكن لها وحدها

كان حب نواف لأمل واضحًا،

لا يحتاج إلى دليل.

أحبّها

كما أحبّ القلّة في حياته:

بثبات،

وبلا ضجيج،

وبوفاءٍ استمر

حتى آخر أيامه.

لكن الحب،

حين يدخل بيتًا له تاريخ،

لا يكفي وحده

لصناعة الراحة.

دخلت أمل بيتها الزوجي

ومعها شركاء غير معلنين:

أمّ،

وأخ.

لم تدخل بيتًا فارغًا

يُبنى من الصفر،

بل وطنًا صغيرًا

له قوانينه،

وعاداته،

وترتيبه الخاص

الذي تشكّل عبر سنوات طويلة

قبل أن تأتي.

كانت البدايات صعبة.

ليست لأن نواف لم يكن حاضرًا،

بل لأن سلطة الأم

كانت مطلقة.

هي التي تدير كل شيء.

الطعام،

المال،

التفاصيل اليومية

التي تصنع الإحساس بالانتماء.

كانت أمل تشعر

أن هذا البيت

ليس بيتها وحدها.

أن لها غرفة،

لكن ليس لها القرار.

أنها زوجة،

لكنها ليست سيدة المكان.

حتى الطعام

كان بقرار الأم.

ما يُطبخ،

ومتى،

وكيف.

ومصروف البيت

يمرّ عبرها.

تحدّد،

وتقسّم،

وتراقب.

لم يكن الأمر نابعًا من سوء نية.

الأم لم تكن قاسية،

كانت معتادة على القيادة.

سنوات طويلة

وهي مركز هذا البيت،

عموده،

وصاحب قراره.

لم تتعلّم كيف تتراجع،

ولا كيف تشارك السلطة.

أما أمل،

فكانت تحاول أن تجد مكانها

دون صدام.

تراقب،

تصمت،

وتشعر بثقلٍ لا تستطيع تسميته.

ليس ظلمًا واضحًا،

ولا إهانة مباشرة،

بل إحساس مستمر

بأنها ضيفة طويلة الأمد

في حياتها نفسها.

نواف كان يرى ذلك.

لم يكن أعمى.

كان ممزقًا بين امرأتين:

أمٍّ صنعت وجوده،

وزوجةٍ اختارها بقلبه.

لم يكن يريد أن يجرح واحدة

لينقذ الأخرى.

وكان يعرف

أن أي كلمة في غير وقتها

قد تفتح حربًا

لا يريدها.

حاول أن يخفّف،

أن يكون جسرًا.

أحيانًا ينجح،

وأحيانًا يفشل.

فبعض الصراعات

لا تُحلّ بالكلام،

بل بالزمن.

في ذلك البيت،

كان لكل واحدة وطنها الصغير.

الأم تحمي تاريخها،

وأمل تحاول أن تبني مستقبلها.

ونواف،

واقف بينهما،

يحاول أن يُبقي البيت قائمًا

دون أن ينهار قلب أحد.

كانت تلك المرحلة

اختبارًا صامتًا.

اختبار صبر،

ونضج،

وإرادة بقاء.

لم تكن سهلة،

لكنها لم تكن نهاية.

لأن الحب،

حين يكون حقيقيًا،

لا يهرب من الصعوبة،

بل يعبرها ببطء،

وبكلفة،

وبأثرٍ لا يُمحى.

ميس... حين تغيّر الصوت

عامٌ واحدٌ مرّ.

عام ثقيل بالبدايات،

وبالصمت،

وبمحاولات التكيّف.

ثم،

وفي لحظة واحدة،

دخل صوت جديد إلى البيت

وقلب كل شيء.

وُلدت **ميس**.

الطفل الأول

له دائمًا نغم آخر،

وصوت لا يشبه سواه.

لكن ميس،

كانت أكثر من ذلك.

كانت حدثًا.

حين حملها نواف بين يديه للمرة الأولى،

لم يعد الرجل نفسه.

الضابط،

والنقيب،

والابن الصلب...

كلهم تراجعوا خطوة إلى الخلف،

وتقدّم أب

اكتشف فجأة

أن قلبه

أوسع مما كان يظن.

أحبّها

إلى حدّ الجنون.

حبًّا لا يعرف التوازن،

ولا يخضع للعقل.

كان ينظر إليها

وكأنها جاءت

لتُعيد إليه

كل ما فقده في طفولته.

كان صوته معها مختلفًا،

ضحكته أخف،

وصمته أقل حدّة.

بعد ميس،

لم يعد البيت كما كان.

حتى الخلافات

خفّ صوتها.

حتى سلطة الأم

بدأت تتراجع دون إعلان.

فالطفلة

فرضت قانونها الخاص.

وفي الوقت نفسه،

غادر طلال المنزل.

لم يكن خروجًا قاسيًا،

بل انتقالًا طبيعيًا.

وجد **هدى**،

شريكة حياته،

وأسّس بيته الخاص.

خلا البيت قليلًا،

لكنّه، paradoxically،

امتلأ أكثر.

أما الأم،

فكانت كما كل القرويين.

فرحت،

لكن في داخلها

ظلّت الأمنية القديمة:

أن يكون المولود الأول ذكرًا.

ليس تقليلًا من شأن الأنثى،

بل بقايا ثقافة

تُسلّمها الأجيال

دون أن تسألها إن كانت ما تزال صالحة.

كانت تنظر إلى ميس،

تحبّها،

تدلّلها،

لكن في قلبها

شيء غير مكتمل.

أما نواف،

فلم يكن يرى

إلا ابنة

سرقت قلبه بالكامل.

لم يشعر

أن شيئًا ينقصه.

بل شعر

أن شيئًا اكتمل.

أمل،

وسط كل ذلك،

كانت تتغيّر أيضًا.

الأمومة

منحتها قوة جديدة.

لم تعد فقط زوجة تحاول أن تجد مكانها،

صارت أمًّا

لها دور لا يُمسّ.

ميس

كانت جواز عبورها الحقيقي

إلى البيت.

وهكذا،

بقدوم طفلة واحدة،

تغيّر ترتيب البيت:

غادر أخ،

خفّ نفوذ،

وتقدّم حبّ

لا يشبه ما سبقه.

ومنذ تلك اللحظة،

لم تعد ميس مجرد ابنة،

بل مركز دوران

عائلة كاملة،

وصوتًا جديدًا

أعاد تعريف

معنى الوطن

داخل أربعة جدران.

لادة تحت الحصار

بعد ميس بعام واحد،

كانت أمل حاملًا بطفلها الثاني.

الحمل هذه المرة

لم يكن انتظارًا هادئًا،

بل زمنًا مشدود الأعصاب،

لأن نواف

لم يكن قريبًا.

كان الرائد نواف

في مهمة خارج الوطن،

ضمن قوات الجيش في **لبنان**،

مشاركًا في **قوات الردع العربية**

في **بيروت**.

مدينة لا تشبه المدن،

مفتوحة على البحر

ومغلقة على الخوف.

في مطلع تشرين الأول عام **1977**،

انقلب التوتّر إلى حصار.

حوصرت كتيبة سورية

في منطقة **الكرنتينا**.

كانت تلك

كتيبة نواف.

حصارٌ من قوات

الكتائب اللبنانية

و**الأحرار اللبنانيين.**

حصار لم يكن عابرًا،

امتدّ لأشهر.

طعامٌ شحيح،

ذخيرة تُحسب،

واتصال شبه معدوم

مع العالم الخارجي.

هناك،

كان الزمن يُقاس

بعدد الأيام التي تمرّ دون اقتحام،

وبعدد الرفاق

الذين يبقون أحياء.

كان نواف

يقف في موقعه

كما تعلّم دائمًا:

هادئًا،

حازمًا،

يخفي القلق

كي لا ينتقل إلى رجاله.

وفي دمشق،

كانت أمل تخوض حصارًا آخر.

حصار الانتظار.

حصار الأسئلة التي لا جواب لها.

كانت تسمع الأخبار

مبتورة،

ناقصة،

وتحاول أن تحمي جنينها

من ارتجاف الخوف.

ثم،

وسط ذلك الثقل،

جاءت الولادة.

وُلد الطفل الثاني.

ولد ذكرًا.

وكأن القدر

اختار توقيته بعناية قاسية.

سمّته **ماجد**.

الاسم لم يحتج نقاشًا.

اختير فورًا،

كما لو أن الجميع كان ينتظره.

ماجد...

اسم والد نواف.

اسم الرجل الذي رحل باكرًا

وبقي حاضرًا

في كل مفصل من حياته.

حين بلغ الخبر البيت،

كانت فرحة الأم

لا تُوصف.

الفرحة هذه المرة

لم تكن صامتة.

جاء الحفيد الذكر.

جاء من يحمل اسم الجد.

جاء من يكمّل السلسلة

كما تحبّها القرى

وكما تطمئن لها القلوب القديمة.

حملت الأم الطفل

ونظرت إليه طويلًا.

رأت في وجهه

ما هو أكثر من مولود.

رأت استمرارًا.

تعويضًا.

وخاتمة دائرة

بدأت بفقدٍ قديم.

أما أمل،

فكانت فرحتها ممزوجة بالدعاء.

تضمّ طفلها

وتفكّر بزوجها

المحاصر خلف البحر.

كانت تتمنى

أن تصل هذه الحياة الجديدة

إليه

كما يصل الهواء

إلى صدرٍ متعب.

وفي بيروت،

لم يكن نواف يعلم فورًا.

كان منشغلًا بالبقاء.

لكن حين وصله الخبر لاحقًا،

تغيّر شيء في داخله.

صار للحصار معنى آخر.

صار عليه أن يعود.

ليس فقط كضابط،

بل كأب

ينتظره اسم

يحمل ذاكرة أبيه

إلى المستقبل.

وهكذا،

في زمنٍ واحد،

وُلد طفل

واشتدّ حصار.

وفي المسافة بين دمشق وبيروت،

كانت عائلة

تتعلم مرة أخرى

أن الحياة

لا تنتظر انتهاء الحروب

كي تستمر.

العودة... وملامسة الاسم

خرجت الكتيبة من الحصار بعد أشهرٍ ثقيلة،

خرجت منهكة،

لكنها خرجت واقفة.

عاد نواف إلى **دمشق**

بوجهٍ أكثر صمتًا،

وبجسدٍ يحمل آثار التعب

حتى حين لا تظهر.

لم يكن أول ما سأله عن الحرب.

لم يكن عن الخسائر،

ولا عن التفاصيل.

كان السؤال الوحيد

الذي كان يلحّ في داخله

أقوى من أي تقرير:

أين هو؟

حين دخل البيت،

كانت أمل تنتظره.

لم تركض،

لم تبكِ،

لم تصرخ.

كانت واقفة بثبات

امرأة عبرت الخوف

وصارت تعرف نفسها.

ثم ناولته الطفل.

ماجد.

أمسكه نواف

بيدين اعتادتا السلاح،

لكنّهما ارتجفتا هذه المرة.

نظر إلى وجهه الصغير،

إلى قسماته الأولى،

وقال في داخله ما لم يقله يومًا بصوت عالٍ:

عاد الاسم.

لم يكن ماجد مجرد مولود.

كان استعادة.

استعادة أبٍ غاب باكرًا،

واسمٍ ظلّ معلّقًا في الذاكرة

حتى وجد جسدًا جديدًا.

ضمّه إلى صدره طويلًا.

لم يقل شيئًا.

لكن ميس،

التي كانت تقف قريبة،

شعرت أن أباها

لم يعد كما كان قبل أن يغيب.

في تلك اللحظة،

لم يكن الرائد الذي خرج من حصار،

بل طفلٌ

يحمل طفله

ويصالح الزمن.

بعد ماجد،

لم تعد أمل المرأة نفسها.

لم تتغير شخصيتها،

لكن **مكانتها** تغيّرت.

في البيوت القروية،

للأمومة وزن،

وللولد الذكر

وزنٌ إضافي

تحمله الثقافة أكثر مما يحمله القلب.

صارت أمل

أمّ بنت،

وأمّ ولد.

وهذا وحده

كان كافيًا

ليعيد ترتيب البيت دون كلمة.

سلطة الأم القديمة

لم تختفِ،

لكنها لم تعد مطلقة.

صارت تشارك.

تتراجع خطوة،

وتتقدم أمل خطوة.

لا صراع،

بل توازن جديد

فرضه الواقع.

صار لأمل رأي في الطعام،

وفي تفاصيل البيت،

وفي القرارات الصغيرة

التي تصنع الإحساس بالانتماء.

لم تعد تشعر

أنها ضيفة طويلة الأمد،

بل سيّدة بيت

ولو بهدوء.

نواف،

دون أن يعلن موقفًا،

كان واضحًا في سلوكه.

يقف حيث يجب أن يقف.

يحمي هذا التوازن الجديد

دون أن يكسر أحدًا.

كان يعرف

أن أمل لم تطلب سلطة،

بل اعترافًا.

أما الأم،

فكانت تنظر إلى ماجد

بفرحٍ خاص.

تحمله،

تناديه باسمه،

وترى في كل مرة

وجه زوجها الراحل

وقد عاد شابًا صغيرًا.

وهكذا،

بقدوم طفل واحد،

لم يتغيّر بيت فقط،

بل تغيّرت علاقات،

وتبدّلت أدوار،

ونضج الجميع

دون أن يطلبوا ذلك.

وفي قلب هذا التحوّل،

كان نواف

يقف أخيرًا

في مكانٍ يعرفه جيدًا:

أبٌ،

وزوجٌ،

وابنٌ

لم يعد يخاف

أن الحياة

تأخذ أكثر مما تعطي.

الأسماء التي لا تُقال عبثًا

بعد ماجد،

جاءت **مرام**.

هدأت خطوات البيت قليلًا،

وتوزّعت المحبة على صوتين صغيرين.

ثم،

بعد مرام،

جاء الطفل الرابع.

ذكرٌ آخر.

كان نواف،

في داخله،

قد حسم الاسم منذ زمن.

أراد أن يسمّيه **رفعت**،

على اسم الجد.

رفعت الذي كان أوّل حنانٍ عرفه،

وأوّل يدٍ شعرت بثقله حين غاب الأب.

كان الاسم دينًا قديمًا،

ووعدًا مؤجّلًا.

لكن الزمن،

في عام **1984**،

لم يكن زمن أسماء بريئة.

في تلك المرحلة،

كانت **الحرب غير المعلنة**

بين **حافظ الأسد**

وأخيه **رفعت الأسد**

تخيّم على البلاد.

توترٌ مكتوم،

وشكٌّ في كل شيء،

حتى في النوايا التي لا تُقال.

نواف كان ضابطًا.

ويعرف جيدًا

أن الاسم،

في تلك الأيام،

قد يُساء فهمه

قبل أن يُفهم.

لم يرد أن يُفسَّر

تسمية ابنه

على أنها موقف،

أو إشارة،

أو ولاء في غير وقته.

كان يخشى

أن يعتقد أحد

أن الاسم

نسبة إلى رفعت الأسد،

لا إلى الجد

الذي حمله قلبه.

وهكذا،

تراجع عن الاسم

الذي أراده طويلًا،

دون أن يتراجع عن المعنى.

اختار اسمًا آخر.

اسمًا أثقل،

وأبعد،

وأصدق له:

ذو الفقار.

سمّاه تيمّنًا

بسيف **الإمام علي**،

ذلك السيف

الذي لم يكن رمز قوة فقط،

بل رمز عدالة.

وسمّاه أيضًا

على اسم شخصية

أحبّها نواف كثيرًا:

ذو الفقار علي بوتو،

رئيس وزراء **باكستان**،

الرجل الذي رآه نواف

مثقفًا،

جريئًا،

ومختلفًا

عن صور السلطة التقليدية.

في الاسم،

جمع نواف ما يشبهه:

الإيمان بالعدالة،

والانحياز للفكرة،

والحذر من السياسة

حين تقترب أكثر مما يجب

من الحياة الخاصة.

كبر الطفل،

يحمل اسمًا

لم يختره صدفة،

بل اختاره أب

كان يعرف

أن بعض القرارات الصغيرة

قد تكون أخطر

من المعارك الكبيرة.

وهكذا،

لم يكن ذوالفقار

مجرد اسم،

بل تسوية ذكية

بين القلب والواقع،

بين الوفاء للجد،

والنجاة من سوء التأويل.

وفي بيت نواف،

استقرّت الأسماء أخيرًا:

ميس،

ماجد،

مرام،

وذوالفقار.

أربعة أبناء،

وأربعة عناوين

لرجل

تعلّم عبر حياته

أن ما لا يُقال أحيانًا

أكثر أهمية

مما يُقال.

أمل... حين صارت الوطن

أصبحت أمل

سيّدة الموقف.

لا لأن أحدًا منحها السلطة،

بل لأن الحياة انسحبت خطوة إلى الخلف

وتركتها في الواجهة.

أمّ لأربعة أبناء،

وزوجة لرجل

اعتاد الغياب

بحكم العمل،

وبحكم الطبيعة،

وبحكم ما لا يُشرح للأطفال.

نواف كان حاضرًا بالاسم،

بالهيبة،

وبالاحترام الذي يسبق صوته،

لكنه لم يكن حاضرًا باليوميات.

كان يخرج باكرًا

قبل أن تكتمل الأحلام،

ويعود متأخرًا

بعد أن ينام البيت.

وأحيانًا،

كان يغيب أشهرًا

دون أن يعرف الأطفال

كيف يُقاس الغياب.

في ذلك الفراغ،

وقفت أمل.

تولّت الحكم

داخل ذلك الوطن الصغير.

تحكم،

تقرّر،

تصرخ،

وتحضن

في اليوم نفسه.

كانت قاسية

حين تحتاج القسوة أن تحمي.

وحنونة

حين يوشك القلب أن ينكسر.

تعرف متى ترفع صوتها،

ومتى تخفضه.

ومتى تفرض النظام،

ومتى تترك الفوضى

تمرّ لأنها تعب.

حين تصرخ،

كان الأبناء يركضون

نحو الجدة.

تلك المرأة الحنونة

التي كانت تمثّل

الملجأ الآمن،

والصوت الهادئ،

والذاكرة التي لا تعاقب.

كانت الجدة

تحتضنهم

وتفهم.

تفهم الأم،

وتفهم الأطفال.

وتعرف أن الصراخ

ليس غضبًا،

بل إرهاقًا طويلًا

تراكم بصمت.

الأبناء

لم يروا والدهم كثيرًا.

كانوا يعرفونه

من بدلته،

ومن صوته في الهاتف،

ومن هيبته حين يحضر.

لكن حياتهم اليومية،

تفاصيلهم الصغيرة،

سقوطهم الأول،

نجاحهم الأول،

خوفهم الأول...

كلها كانت مع أمل.

بالنسبة لهم،

الحياة

لم تكن مفهومًا مجرّدًا.

كانت أمل.

هي من توقظهم،

وتنام آخر واحدة.

هي من تعرف

من كذب،

ومن خاف،

ومن يحتاج عناقًا

ولو ادّعى العكس.

هي من تحمل العبء

ولا تسمّيه عبئًا

كي لا يخافوا.

كبروا

وهم يعرفون

أن للأب مكانة،

لكن للأم

الوجود.

كبروا

في بيتٍ

حكمته امرأة

لم تختر أن تكون قوية،

لكنها صارت كذلك

لأن لا أحد غيرها

كان يستطيع أن يكون.

وهكذا،

لم تكن أمل

زوجة ضابط فقط،

ولا أمًّا تقليدية.

كانت دولة كاملة

تعمل بلا إجازات،

ولا خطابات،

ولا اعتراف رسمي.

وكان الأبناء،

حين كبروا،

سيفهمون شيئًا واحدًا بوضوح:

أن ما أبقاهم واقفين

حين كان الأب بعيدًا،

لم يكن الغياب،

بل امرأة

اسمها أمل.

لعقل الذي لم يخلع بزّته

كان نواف

يحبّ القراءة

لا كهواية،

بل كضرورة حياة.

كان يلتهم الكتب

بشراسةٍ تشبه الجوع،

كأن كل كتاب

فرصة إضافية

لألا يضيق العالم.

لم يكن يقرأ ليمرّ الوقت،

ولا ليُقال عنه مثقّف.

كان يقرأ

ليُجادل،

ليُفكّك،

ليُعيد تركيب الأفكار

بطريقته الخاصة.

يدخل في نقاشات علمية

وفكرية

دون تردّد،

ولا يخشى أن يكون الطرف الأضعف

إن كان صادقًا.

كان يقول دائمًا:

« **العقل المتنوّريضيء كل شيء** » .

لم تكن جملة جميلة فقط،

كانت قناعته الأساسية.

كان يؤمن أن الجهل

هو أخطر سلاح،

وأن المعرفة

ليست ترفًا

حتى في أكثر البيئات انضباطًا.

داخل المؤسسة العسكرية،

كان حالة خاصة.

من الضباط القلائل

الذين يحملون كتابًا

كما يحملون السلاح.

ومن القلائل

الذين يعتقدون

أن الطاعة

لا تُلغي التفكير،

وأن الانضباط

لا يعني تعطيل العقل.

هذا جعله مختلفًا.

وأحيانًا...

مزعجًا.

كان يقول « لا »

حين يرى أن « نعم »

ستكون خيانة لنفسه.

حتى لو اضطرّه الأمر

لخسارة منصب،

أو فرصة،

أو رضا صاحب سلطة.

لم يكن يبحث عن الصدام،

لكنه لم يكن يهرب منه

إن كان ثمن الصمت

هو التنازل عن قناعته.

كان أقرب

إلى دكتور جامعة

من كونه ضابطًا تقليديًا.

يشرح،

يناقش،

يفتح الاحتمالات،

ولا يحبّ الإجابات الجاهزة.

حتى في الأوامر،

كان يريد أن يفهم المنطق،

لا أن يكرّر الفعل فقط.

لم يكن مثالًا مثاليًا.

كان يعرف

أن التفكير الزائد

قد يكون عبئًا،

وأن المؤسسة

لا تحب دائمًا

من يسأل كثيرًا.

لكنه اختار هذا العبء

بإرادته.

في بيته،

كانت الكتب

جزءًا من المشهد اليومي.

يراه الأبناء

منهمكًا في القراءة،

يرفع رأسه فجأة

ليعلّق على فكرة،

أو ليربط حدثًا صغيرًا

بسياقٍ أكبر.

كان يعلّمهم دون أن يقصد،

أن السؤال

ليس وقاحة،

وأن المعرفة

ليست حكرًا على أحد.

هذا العقل

هو ما أنقذه

من التصلّب،

ومن التحوّل إلى آلة.

هو ما أبقاه إنسانًا

داخل البزّة.

وهو ما جعله

أحيانًا

وحيدًا في موقفه،

لكن مرتاحًا مع نفسه.

لم يكن نواف

يبحث عن بطولة،

ولا عن صورة.

كان يبحث عن انسجام

بين ما يفكّر به

وما يعيشه.

وهذا،

في عالمٍ مليء بالتناقضات،

كان أصعب معاركه

وأشرفها.

وهكذا،

حين يُسأل من عرفه جيدًا

عن نواف،

لن يبدؤوا برتبته،

ولا بمناصبه،

بل سيقولون:

كان رجلًا

يحمل عقلًا لا يقبل العتمة.

حين يبدأ الصمت بالكلام

كبر الأبناء،

وكبر معهم صمت نواف.

لم يعد ذلك الصمت

الذي يولد من الانشغال،

بل صمت رجل

رأى ما يكفي

ليعرف أن الكلام

لا يغيّر دائمًا.

كان يعود إلى البيت

متأخرًا،

يضع بزّته بعناية،

ويجلس مع كتاب.

الكتاب كان ملاذه الأخير.

هناك،

كان يستطيع أن يكون نفسه

دون رتبة،

ودون حسابات.

كان يرى أبناءه

يكبرون أمامه

كما يكبر الوقت فجأة.

ميس أصبحت واعية،

تسأل أكثر مما يجب.

ماجد يحمل في اسمه

ثقل الجد،

وفي عينيه

توقّعًا لا يعرف مصدره.

مرام هادئة،

تراقب العالم من زاوية خاصة.

وذوالفقار،

يحمل اسمًا أثقل من عمره،

وكأن القدر قرر

أن يكون مختلفًا منذ البداية.

كان نواف قريبًا منهم

بطريقته الخاصة.

لا يعرف اللعب كثيرًا،

ولا يجيد التدليل،

لكنه كان حاضرًا

حين يحتاج الأمر موقفًا،

أو قرارًا،

أو حماية.

أما أمل،

فكانت العمود الحقيقي.

تدير،

تحتوي،

وتعيد ترتيب الفوضى

كل مساء.

كانت تعرف

أن زوجها ليس قاسيًا،

بل متعب.

ولذلك،

لم تطلب منه

أن يكون أكثر مما يستطيع.

مرّت السنوات،

وتغيّر كل شيء حوله.

وجوه جديدة،

خطابات جديدة،

وشعارات لم تعد تشبه

ما قرأه في الكتب

ولا ما آمن به في شبابه.

كان يرى التناقض

ولا يعلّق كثيرًا.

تعلم أن الاعتراض الصامت

أحيانًا

أكثر أمانًا من المواجهة المباشرة.

لكن هذا لم يمنعه

من قول "لا"

حين تكون "نعم"

خيانة لذاته.

دفع ثمن ذلك.

ليس مرة واحدة.

ترقيات تأخرت،

مواقع لم يصلها،

وأبواب أُغلقت

دون تفسير.

لكنه كان يعود إلى البيت

وينظر إلى أمل

ويقول في داخله:

هذا يكفي.

كان يعرف

أن الخسارة الحقيقية

ليست منصبًا،

بل أن تخسر نفسك

وأنت تحاول البقاء.

ومع مرور الوقت،

بدأ يشعر بثقل الجسد.

ليس مرضًا واضحًا،

بل تعبٌ مزمن

لا يظهر في الفحوصات.

تعب السنين،

والتفكير الطويل،

والحروب التي لا تُنسى

حتى بعد انتهائها.

كان يجلس أحيانًا

وينظر بعيدًا،

نحو مكان لا يراه أحد.

لم يكن حنينًا فقط،

بل مراجعة.

ماذا فعل؟

وماذا كان يمكن أن يفعل؟

وهل كان الطريق

يستحق كل هذا؟

ثم يعود

ويمسك كتابًا،

وكأن الإجابة

ما تزال هناك،

بين السطور.

حين توقّف العداد

جاء التقاعد

دون ضجيج.

لم تُطلق صفّارات،

ولم تُرفع صور.

انتهت الخدمة

كما عاشها نواف:

بهدوءٍ ثقيل.

في اليوم الأول

بعد أن خلع البزّة،

جلس طويلًا.

لم يعرف ماذا يفعل بوقته.

العمر الذي كان محسوبًا بالدقائق

صار فجأة واسعًا

إلى حدٍّ مربك.

لم يشتق إلى الرتبة.

ولا إلى المكاتب.

اشتاق فقط

إلى الإيقاع.

إلى الشعور

أن اليوم له شكل واضح.

لكن الجسد،

الذي طالما أطاع،

بدأ يطالب بحقه.

صباحات بطيئة،

مفاصل متعبة،

وذاكرة

تستيقظ أكثر مما يجب.

صار يقرأ أكثر.

بشراسة أقل،

وبتأمّل أعمق.

لم يعد يجادل ليقنع،

بل ليحاول أن يفهم

كيف وصل العالم إلى هنا.

كان يجلس في الشرفة

طويلًا.

يراقب الضوء

يتحرّك على الجدران.

ويفكّر:

كم مرة مرّ هذا الضوء

وهو غائب؟

أمل

كانت تعرف هذا الصمت.

لم تخف منه.

كانت تتركه

ثم تقترب في الوقت المناسب.

تحضر القهوة،

تسأله سؤالًا عاديًا،

فتعيده ببطء

إلى الحاضر.

الأبناء

صاروا أكبر.

لكل واحد حياته،

أسئلته،

وطريقه.

كانوا يرونه

أكثر هدوءًا،

وأقل صرامة.

كأن التقاعد

أعاد إليه

جزءًا ضائعًا من نفسه.

كان يستمع إليهم أكثر مما ينصح.

تعلم متأخرًا

أن النصيحة

حين لا تُطلب

قد تصبح عبئًا.

وكان يبتسم

حين يكتشف

أنهم أخذوا منه

أكثر مما كان يظن

دون أن يقول لهم شيئًا.

أحيانًا،

كان يحنّ.

ليس للسلطة،

بل للشباب.

للقوة التي كانت لا تسأل الجسد.

لكنه لم يكن نادمًا.

كان يعرف

أنه عاش كما استطاع،

لا كما أُريد له دائمًا.

في تلك السنوات،

صار يقدّر التفاصيل الصغيرة:

ضحكة حفيد،

رائحة كتاب قديم،

نقاش بلا نتيجة،

مساء يمرّ دون خبر عاجل.

لم يعد يريد أن يغيّر العالم.

كان يكتفي

بألا يتركه

يغيّره من الداخل.

وكان هذا

هدوءه الأخير:

رجلٌ

توقّف عن الركض،

لكنّه لم يتوقّف عن التفكير.

طلال... الفقد الذي سبق الانهيار

بعد التقاعد،

وحين خفّ ضجيج الأيام،

ظنّ نواف أن الأصعب قد مضى.

أنه أدّى ما عليه،

وأن ما تبقّى

مجرد وقتٍ أبطأ

يمكن احتماله.

لكن الحياة

لم تكن قد قالت كلمتها الأخيرة.

جاء خبر مرض طلال

كجملة غير مكتملة.

سريعة،

غامضة،

لا تحمل ما يكفي من الخوف

ليستعدّ له القلب.

طلال...

الأخ الذي لم يحتج يومًا

إلى تعريف.

الذي شاركه الغرفة،

والطفولة،

والفقر،

والضحكة التي كانت تخفّف

ثقل التفكير.

لم يكن طلال مجرد أخ أصغر.

كان **الجزء الحيوي**

الذي أبقى نواف متصلًا

بنسخة أخفّ من نفسه.

الشخص الذي يعرف

كيف يضحك

حين يثقل العقل أكثر من اللازم.

تدهورت حالته بسرعة.

مرض لا يمنح فرصة للتأقلم،

ولا يسمح بالإنكار الطويل.

دخل المستشفى

وفي داخله وعدٌ ضمني

أن يخرج.

لكن الأبواب

لم تفتح هذه المرة.

وقف نواف

في الممرات البيضاء

بلا بزّته،

بلا دور،

بلا سلطة.

لم يكن ضابطًا،

ولا أبًا،

ولا رجلًا اعتاد السيطرة.

كان أخًا

يقف عاجزًا

للمرة الأولى.

حين رحل طلال،

لم يصرخ.

لم ينهَر.

لم تظهر عليه علامات الفقد

كما يتوقّع الناس.

لكن شيئًا داخله

تصدّع بعمق.

بموته،

لم يفقد نواف شخصًا فقط،

فقد **الشاهد الأخير**

على حياته قبل أن تصبح ثقيلة.

الشخص الوحيد

الذي يعرفه

قبل الرتب،

وقبل الكتب،

وقبل الصمت الطويل.

عاد اليُتم.

لا يُتم الأب،

بل يُتم الرفقة.

ذلك اليُتم

الذي يأتي متأخرًا،

حين تظن أنك تجاوزته.

صار أكثر صمتًا بعد طلال.

ليس حزنًا صاخبًا،

بل انسحابًا داخليًا.

كأن جزءًا من ذاكرته

انطفأ،

وكأن الماضي

لم يعد له شريك.

قال مرة،

دون أن ينظر إلى أحد:

« الآن...

حتى الذكريات صارت وحيدة ».

بعد طلال،

بدأ نواف يشعر

أن الأرض لم تعد ثابتة كما كانت.

أن التقاعد

لم يكن نهاية مرحلة فقط،

بل بداية مواجهة

مع فقدٍ

لم يكن مستعدًا له.

كان هذا

الفقد الأول.

الشرخ الأول.

الضربة التي لم تُسقطه،

لكنها أضعفت قدرته

على الوقوف طويلًا.

ومنذ ذلك اليوم،

لم يعد نواف

كما كان قبل طلال.

كان يعيش،

لكن بشيء ناقص،

شيء لن يعود،

مهما مرّ الوقت.

الأم... الضربة التي زعزعت كيانه من الداخل

لم يكن فقدان الأم

خبرًا.

كان **انكشافًا**.

بعد طلال،

كان نواف يظنّ—أو يقنع نفسه—

أن الأسوأ قد حدث.

أن القلب، بعد أن ينكسر مرة،

يتعلّم كيف يحتمل.

لكنّه كان مخطئًا.

رحلت الأم،

فانهار ما لم يكن يعلم

أنه ما يزال قائمًا.

لم ترحل كأمّ فقط،

بل كـ **آخر نقطة توازن داخلي**.

المرأة التي ظلّت واقفة

حتى حين جلس الجميع،

والتي كان وجودها—حتى من بعيد—

يمنحه شعورًا خفيًا

أن هناك من يحمله

دون أن يطلب.

برحيلها،

شعر نواف بشيء لم يشعر به من قبل:

العري الكامل.

لا سند خلفه،

ولا ذاكرة حيّة

تستدعيه باسمه

كما نُطق أول مرة.

لم يبكِ كما يُبكي الأبناء.

بكى كمن فقد

معنى الرجوع.

كمن أدرك فجأة

أن كل ما عاشه

كان مدعومًا بدعاء

لم يكن يسمعه.

صار صمته بعدها مختلفًا.

ليس صمت التفكير،

بل صمت من لم يعد

يريد أن يشرح نفسه.

انطفأت لديه الرغبة في الجدال،

وفي الإقناع،

وفي المقاومة اليومية

التي كانت تبقيه يقظًا.

قال مرة لأمل،

بصوتٍ لم يكن شكوى

ولا اعترافًا،

بل حقيقة مجردة:

« حين رحلت...

لم يعد هناك من يعرفني

كما أنا ».

كان يجلس أحيانًا

في مكانها،

ينظر إلى الفراغ،

ويستعيد تفاصيل

لم يكن يلاحظها سابقًا:

طريقة نطقها لاسمه،

نظرتها حين يقلق،

صمتها حين تفهم

دون شرح.

أدرك متأخرًا

أن قوته لم تكن ذاتية تمامًا،

وأن استقلاله الذي تفاخر به يومًا

كان يستند إلى وجود

لم يختبر غيابه من قبل.

بعد الأم،

صار الموت فكرة قريبة،

لا مخيفة،

بل مفهومة.

لم يعد يراه كخصم،

بل كنقطة نهاية

منطقية

لحياة استُنزفت بالمسؤولية والفقد.

هذا الفقد

لم يكسره أمام الناس،

لكنه **زعزع كيانه من الداخل**.

سحب آخر خيط

كان يربطه بالرغبة

في الاستمرار بالقوة نفسها.

ومنذ ذلك اليوم،

لم يعد المرض مفاجأة،

ولا النهاية احتمالًا بعيدًا.

كان الجسد فقط

يلحق بما عرفته الروح

منذ رحيلها.

رحلت الأم،

ففقد نواف

ليس شخصًا،

بل **الأصل**.

وكان هذا

أثقل ما حمله

قبل أن يسمح لنفسه

بالتعب

أمل... حين صار الحب مأوى

بعد رحيل أمّه،

لم يعد نواف كما كان.

لم ينهَر،

لكنه لم يعد متماسكًا من الداخل.

كان واقفًا لأن الوقوف صار عادة،

لا لأن في داخله ما يكفي من القوة.

في ذلك الفراغ،

اقترب من أمل

بطريقة مختلفة.

لم يعد يقترب منها كزوج فقط،

بل كمن يبحث عن **مأوى**.

كان يجلس قربها أكثر.

يصمت.

ينظر.

يكتفي بوجودها

كما كان يكتفي بوجود أمّه يومًا

دون حاجة للكلام.

لم يطلب منها شيئًا.

لم يقل *:أنا متعب*.

لكن تعلّقه كان واضحًا

في تفاصيل صغيرة:

في الطريقة التي يناديها بها،

في حاجته لأن تكون قريبة،

في قلقه إن تأخرت.

صار يبحث فيها

عن ذلك الإحساس القديم:

أن هناك امرأة

لو انكسر العالم

ستبقى واقفة.

امرأة لا تسأله لماذا تعب،

ولا تطالبه بأن يكون قويًا دائمًا.

أمل فهمت.

لم تسمِّ ما يحدث،

لكنها شعرت به.

شعرت أن الرجل الذي أحبّها

وصانها

وصمد طويلًا،

صار الآن يحتاج

أن يُصان.

لم تتعامل معه كطفل،

ولا كعاجز.

تعاملت معه

كما كانت أمه تفعل:

تحضر دون ضجيج،

تقترب دون أسئلة،

وتمنحه الطمأنينة

دون أن تنتزع منه كرامته.

كانت تعرف

متى تتركه وحده،

ومتى تضع يدها على كتفه

دون كلمة.

تعرف متى تطبخ له ما يحب،

ومتى تتركه يأكل بصمت.

تفهم أن هذا التعلّق

ليس ضعفًا،

بل **حاجة متأخرة**.

في وجودها،

كان يستعيد توازنه المؤقت.

ليس شفاءً،

بل قدرة على الاحتمال.

كانت له

كما كانت أمّه:

نقطة سكون

في عالم متحرّك.

وللمرة الأولى،

لم يخجل من ذلك.

لم يقاوم حاجته.

لم يحاول أن يبدو أقوى.

كان يعرف

أن من فقد أمّه

لا يبحث عن بديل،

بل عن **إحساس مشابه بالأمان**.

قال لها مرة،

بصوتٍ منخفض

وكأنه يعتذر عن شيء لا ذنب له فيه:

« معك...

أعرف كيف أهدأ ».

لم تقل شيئًا.

اكتفت أن تبقى.

وهكذا،

لم تعد أمل

زوجته فقط،

ولا شريكة حياته،

بل الامتداد الإنساني

لأمٍّ غابت،

دون أن تُلغى.

وفي هذا التعلّق،

لم يكن نواف يعود طفلًا،

بل كان يسمح لنفسه

أخيرًا

أن لا يكون قويًا وحده

الغياب الأخير... حين انطفأ كل شيء

لم يكن المرض الأخير

نقطة.

كان **انهيارًا بطيئًا**،

كأن الجسد قرر

أن يستسلم

بعد أن سقط كل ما كان يحمله من الداخل.

بدأ التعب مختلفًا هذه المرة.

ليس تعبًا يُحتمل،

ولا وجعًا يُؤجَّل.

كان ثقلًا يهبط دفعة واحدة

على كل شيء:

الخطوة،

النَفَس،

والنظرة.

صار نواف أقل حضورًا.

لا بالكلام فقط،

بل بالوعي نفسه.

تغيب عيناه فجأة

وهو جالس،

كأن شيئًا ما

يسحبه من الداخل

إلى مكان لا نراه.

في إحدى الليالي،

سقط.

لم يكن سقوطًا دراميًا.

لم يصرخ.

لم ينادِ.

سقط كما يسقط

من تعب طويل

لم يعد الجسد قادرًا

على حمله.

الإسعاف.

الضوء الأبيض.

السرير المتحرّك.

أمل تركض

لكن قدميها

لا تلحقان قلبها.

الأبناء خلفها

بوجوه لا تفهم

كيف يتحوّل الأب

إلى جسد صامت

في دقائق.

دخل العناية المركزة.

ذلك المكان

الذي لا يشبه الحياة،

ولا يسمح بالموت الكامل.

مكان معلّق

بين نبضٍ اصطناعي

وأملٍ هش.

غاب نواف عن الوعي.

لم يعد يتكلّم.

لم يعد يفتح عينيه.

لم يعد يجادل.

الرجل الذي كان

عقلًا متّقدًا

صار جسدًا

تتولّى الآلات

مهمّة إبقائه هنا.

الأطباء

يتكلّمون بلغة باردة.

نِسَب.

احتمالات.

جُمل لا تمسك اليد

ولا تطمئن القلب.

أمل

كانت تجلس قربه.

لا تبكي بصوت عالٍ.

كانت تنظر إليه

كما نظرت إليه

في أصعب أيامه:

ثابتة.

مكسورة من الداخل

لكنها لا تسمح

للكسر أن يظهر.

كانت تمسك يده.

تكلّمه.

تحكي له عن أشياء تافهة

كأنها تحاول

إبقائه هنا

بأي خيط.

الأبناء

كانوا يدخلون واحدًا واحدًا.

يقفون أمام الجسد

الذي كان يومًا

ملجأهم.

لم يعرفوا

كيف يخاطبونه.

كيف يودّعونه

وهم لم يُسمح لهم بعد

بالوداع.

ميس

كانت تنظر إليه

وتحاول أن تتذكّر صوته.

ماجد

كان واقفًا

يحاول أن يكون رجلًا

كما أراده أبوه.

مرام

تبكي بصمت

كأنها تخشى

أن توقظه.

وذوالفقار

كان مذهولًا،

غاضبًا من العالم،

من القدر،

من كل شيء.

الوقت

في العناية

ليس وقتًا.

هو انتظار ثقيل

يتآكل فيه الأمل

دون أن ينهار دفعة واحدة.

ثم جاءت اللحظة.

لم يعلنها أحد بصوت عالٍ.

تغيّر النبض.

تغيّر الصوت.

الأجهزة بدأت

تقول ما لا نريد سماعه.

رحل نواف.

لم يفتح عينيه.

لم يقل كلمة أخيرة.

لم يودّع.

كأن الحياة

أخذته فجأة

دون أن تعطيه

حق الجملة الختامية.

حين أُعلن رحيله،

لم يصرخ أحد فورًا.

كان هناك صمت

مروّع.

صمت من يدرك

أنه فقد

أغلى ما في الوجود

دون استعداد.

أمل

انهارت للمرة الأولى.

لم تكن صرخة،

كانت سقوطًا كاملًا.

امرأة حملت الجميع

طوال عمرها

سقطت

لأن من كانت تستند إليه

حتى وهي قوية

لم يعد هنا.

الأبناء

شعروا باليُتم

دفعة واحدة.

ليس يُتم الطفولة،

بل يُتم المعنى.

فقدوا الرجل

الذي كان معيارًا،

حتى حين لم يكن حاضرًا.

لم يفقدوا أبًا فقط.

فقدوا **الأمان**.

فقدوا الفكرة

أن هناك من يفهم

حتى دون شرح.

فقدوا آخر رجل

كان وجوده

يعني أن العالم

ما يزال قابلًا للتحمّل.

خرجوا من العناية

وهم يعرفون

أن شيئًا ما

انتهى إلى الأبد.

لم يكن موت نواف

حدثًا عابرًا.

كان **زلزالًا داخليًا**.

كسر ما لا يُرى،

وأبقى الجميع

يحاولون تعلّم الحياة

من جديد

بدونه.

وهكذا،

غاب الجسد،

لكن الألم

بقي حاضرًا.

ثابتًا.

غير قابل للتخفيف.

لأ ن بعض الرجال

حين يرحلون

لا يتركون فراغًا...

يتركون خرابًا صامتًا

لا يرمّمه الزمن.

العودة الأخيرة

عاد نواف

إلى القرية

جسدًا.

الطريق الذي قطعه طفلًا باكيًا،

وشابًا مترددًا،

ورجلًا مثقلًا،

قطعه هذه المرة

صامتًا تمامًا.

السيارة التي حملته

لم تتوقف كثيرًا.

الناس على جانبي الطريق

كانوا يعرفون.

لا حاجة للخبر.

الحداد

كان يسبق المركبة.

حين دخلوا القرية،

لم تدخل ضوضاء.

دخل صمتٌ كثيف

كأن الجبال نفسها

انحنت.

خرج الناس من بيوتهم.

رجالٌ عرفوه ضابطًا،

وشيوخٌ عرفوا أمّه،

ونساءٌ يتهامسن

عن الطفل الذي كبر

ثم عاد محمولًا.

كان النعش

خفيفًا على الأكتاف،

ثقيلًا على القلوب.

أمل

كانت تمشي خلفه.

لم تصرخ.

لم تلطِم.

كانت تمشي

كما مشت طوال حياتها:

مستقيمة

رغم الانكسار الكامل في الداخل.

الأبناء

كانوا كأنهم أكبر من أعمارهم

دفعة واحدة.

يمشون

ولا يعرفون

كيف تحوّل الأب

إلى ذكرى

بهذه السرعة.

وصلوا المقبرة.

المكان

لم يكن غريبًا عنه.

هنا

كانت أمّه.

وهنا

كان أبوه

الذي لم يره يومًا،

لكنه عاش عمره كله

يحمل غيابه.

فُتح القبر.

كان بجوار قبر الأم.

وبالقرب من قبر الأب

الذي لم يحتضنه

لكنّه شكّل حياته من العدم.

حين أُنزل النعش،

انكسر شيء

لا يُرمَّم.

أمل

اقتربت.

نظرت إلى الحفرة

طويلًا.

ثم قالت بصوتٍ خافت

كأنه حديث خاص

لا يسمعه أحد:

« رجعتك...

مثل ما وعدت ».

كانت تعرف

أن أكثر ما أراده

هو هذا المكان.

الأرض التي صنعت صلابته،

والأسماء التي شكّلته

قبل أن يصير رجلًا.

وُري التراب.

حفنة...

ثم أخرى...

ثم اختفى الجسد

تحت الأرض

وبقي الأثر

فوقها.

وقف الأبناء

ينظرون

ولا يعرفون

كيف يُودَّع رجل

علّمهم أن الوداع

ليس كلامًا.

ماجد

كان ينظر إلى القبر

ويفكّر

أنه يحمل اسم الجد

وأن الاسم الآن

صار أثقل.

ميس

كانت تشعر

أن جزءًا من صوتها

دُفن معه.

مرام

كانت صامتة

كما كان.

وذوالفقار

كان غاضبًا من الأرض

التي أخذت

أكثر مما أعطت.

انتهى الدفن.

لم ينتهِ الوداع.

الناس تفرّقوا ببطء.

القرية عادت

إلى إيقاعها.

لكن بيت نواف

لم يعد كما كان.

بقي قبره

بين قبر أمّه

وقبر أبٍ لم يره.

كأن الدائرة

أُغلقت أخيرًا.

عاد نواف

إلى حيث بدأ.

لم يعد ضابطًا،

ولا مثقفًا،

ولا أبًا حاضرًا.

عاد

ابنًا

نام أخيرًا

إلى جوار أمّه،

وبالقرب من أب

انتظره عمرًا كاملًا

دون أن يلتقيا.

وهكذا،

انتهت الحكاية

حيث كان يجب أن تنتهي:

في التراب الذي صنعه،

وبين الأسماء

التي لم يتخلَّ عنها يومًا.

لم ينتهِ نواف حين دُفن.

انتهى فقط الجسد

الذي كان يحمل كل ذلك الثقل.

بقي صوته

في الأماكن التي لا يُسمع فيها صوت.

في الكرسي الفارغ،

في الكتاب المفتوح على صفحة

لن تُقلَب،

وفي الصمت الذي صار أثقل

من أي كلمة.

بقي في أمل

كفقدٍ لا يُشفى.

امرأة ظنّت أنها تعرف معنى التعب،

فاكتشفت بعده

أن التعب الحقيقي

هو أن تستيقظ

ولا تجد من اعتادت أن تقلق عليه.

أن تخاف

ولا تعرف لمن تبوح.

أن تبقى قوية

دون سبب.

كانت تمشي في البيت

وتشعر أن الجدران

تعرفه أكثر مما تعرفها.

أن الزمن توقف عند اسمه،

وأن الحياة بعدها

صارت تمرّ

لكنها لا تُعاش.

وبقي في الأبناء

كشرخٍ لا يلتئم.

لم يأخذ منهم الأب فقط،

أخذ **الإحساس بالأمان**.

ذلك الشعور الخفي

أن هناك من يفهم العالم قبلهم،

ومن يمكن العودة إليه

حين تتعقّد الأمور.

كبروا بعده،

لكنهم لم يكبروا تمامًا.

شيء في داخلهم

توقّف عند اليوم

الذي ودّعوه فيه.

حتى القرية

بدت أفقر بعده.

كأنها فقدت

أحد أبنائها الذين خرجوا

وعادوا

ولم ينسوا الأصل.

لم يترك نواف

وصايا مكتوبة،

ولا خطابات،

ولا كلمات أخيرة.

ترك فراغًا

يعلّم من بقي

أن بعض الرجال

لا يُعوَّضون.

وكان أكثر ما يؤلم

أن كل هذا الوجع

لم يكن نتيجة خطأ،

ولا ظلم،

ولا مأساة كبرى.

كان فقط

نتيجة حياة

عاشها رجل

بكل ما يملك،

ثم رحل

حين لم يعد لديه

ما يعطيه.

وهكذا،

لم يكن موت نواف

نهاية قصة،

بل بداية حزن طويل

سيعيش في التفاصيل الصغيرة،

وفي كل مرة

يُقال فيها اسمه

بصوت منخفض.

لأن بعض الغياب

لا يُنسى...

ولا يُحتمل...

ولا يتعلّم القلب

كيف يتجاوزه.

انتهت الحكاية...

وبقي الألم

حقوق النشر والتصميم محفوظة

2026م

هذه ليست سيرة بطلٍ تقليدي،
ولا حكاية رجلٍ عظيم كما تُروى في الخطب.
هذه رحلة إنسان.
رحلة رجل بدأ حياته طفلًا يتيمًا في قرية صغيرة،
شقّ طريقه بالعلم والعناد،
دخل المؤسسة العسكرية دون أن يتخلّى عن عقله،
وخاض الحروب والغيابات
وهو يحمل في داخله بيتًا، وأمًّا، وأسئلة لا تهدأ.
في هذه الصفحات، نرافق نواف في رحلته
من الفقد الأول إلى الحب، ومن الأبوة إلى الغياب،
ومن القوة الظاهرة إلى الانكسارات الصامتة التي لا يراها أحد.
ونرافق أمل، المرأة التي كانت وطنًا، وأمًّا،
وزوجةً حملت الحياة حين ثقلت، وبقيت واقفة
حتى بعد أن غاب الرجل.
« رحلة رجل عاش واقفًا »
كتاب عن الأب، والأم، والبيت، والشرخ الذي يتركه الرحيل
ولا يلتئم.
هو محاولة لفهم كيف يعيش الرجال...
وكيف يرحلون، وكيف يبقون؟
رغم الغياب.

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي